إلى القارئ

بهذا العدد تدخل « الفكر » سنتها الثانية عشرة وهى مؤمنة اشد الايمان بالرسالة التى وضعتها على عاتقها ، ماضية لا تنى فى السبيل الذى انتهجته ، محققة بالقدر الذى سمحت لها به الظروف جزءا من الامل الذى ارتضته لنفسها منذ اكثر من عقد وآمنت به الامة وجسمت منه الكثير فى ميدان الفكر والأدب .

وهى اذ امكن لها ان تصدر مائة وعشرة اعداد متنوعة الأبواب متفاوتة القيمة فليس ذلك من باب الصدفة او من قبيل الطفرة بل هو ناتج اولا وآخرا عن اعتماد الفكر على القراء الذين يجدون ، حينا ، فيما تجود به القرائح التونسية مدعاة للاستحسان تارة والاستقباح أخرى ، وفرصة للتشجيع واستنهاض الهمم والذين لا يبخلون على المجلة ، حينا آخر ، بانتاجهم ولا يحجمون عن مدها بالزاد فى تواضع وكرم اصيلين . ذلك ان « الفكر » مفتوحة لجميع المواهب والكفاءات متفتحة الى كل ما من شانه ان يرفع من الانتاج الفكرى فى تونس ، ويجعله انسانيا يستحق رضا العقول النيرة والبصائر النافذة .

وان احسن ما اعتمدت عليه المجلة فى الماضى ، وتعتمد عليه فى المستقبل ، هو الفكر الحى الشاب ـ حسا ومعنى ـ الذى واكب نهضة الامة بل وساهم فى وثبتها الثقافية واظهر من الاصالة والرغبة فى الرقى والسمو ما جعل فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة يهتم به ، ويشجعه وينفخ فيه من عزمه واذكائه فى مناسبات عديدة وخاصة فى ملتقى هواة الأدب الذى انتظم اخيرا بمدينة المنستير واظهر فيه فخامته سروره لحرص الشباب على الاعتناء بالأدب وممارسته له بكل جد وعزيمة ، وأكد تفاؤله بأن الأدب فى تونس سيكون له مع الجيل الصاعد الحظوة والرفعة .

بكل هذا يمكن القول ان الظروف مؤاتية لازدهار الأدب فى هذه الربوع وان النتاج الذى يبرز يوما فيوما ويتطور نحو الجودة والاصالة كفيل بان يقبل عليه الناس لا بالمطالعة فحسب بل وبالتحمس للجديد الطريف فيه .

الفكر

على هامش ذكرى 3 سبتمبر 1934 (*)

القيادة السياسية ومجرى التاريخ

بقلم : الدكتور عبد المجيد رزق الله

من المواضيع الاساسية في علم السياسة موضوع التفاعل بين القادة ومجرى التاريخ. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو هل أن هؤلاء القادة صانعو التاريخ ، أو أنهم لم يكونوا إلا من صنائعه ؟ وهل يستطيع القائد أن يؤثر فعلا في مجرى التاريخ ، أو أنّه كما تصوره الفيلسوف الالماني "هيقل" ليس في الجوهر إلا منفذا لارادة التاريخ المطلقة مهما بدا في الظاهر ذا إرادة حرة ؟

إن الجواب على هذا السؤال يختلف حسب نظريتين متقابلتين وهما النظريّة الجبريّة والنظريّة الاختياريّة :

ليس القائد "لدى الجبريين" إلا عاملا دأمر قوى حتمية تاريخية، وهو ليس إلاّ مجسما للسنن التي هو وليدها ، ومدركا لها إدراكا عميقا يمكنه من التّكيف معها أفضل تكييف ممكن .

وتبعا لهذه النظريّة يرى المؤرخ الفرنسي "رينان" مثلا آن محمدا لم يكن سوى النتاج الحتمي الاسمى للعبقرية العربية ولم يكن أكثر من مبلور لسنن تطور التاريخ العربي .... ويرى "تروتسكي" أن رفيقه في الشيوعيّة "لينين" لم يكن أكثر من نتاج تطور تاريخ روسيا ... ويقابل هذه النظرية الجبرية المتطرفة النظرية الاختيارية الاقرب الى الواقع والتي ترفع من دور القائد في التاريخ .

(*) هو يوم له أهميته البالغة في مجرى التاريخ الوطني التونسي لانه يوم التحول الحاسم نحو الثورة الاجابية بفضل شخصية وعبقرية المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة الذى فرض قيادتهلتونس وصنع تاريخها ولا زال .

فولادة القائد هي وحدها الصدفة كما يقول "هنري بونكاري" ولكن ما يقوم به من أعمال وما يحققه من نتائج ليست إلا منبثقة عن عبقريته الخلاقة وعن قدرته على توجيه بيئته وزمانه وجهة جديدة. وهو لا يجسم إرادة مواطنيه أو معاصريه ، ولكنهم ، بالعكس من ذلك ، هم الذين يجسمون إرادته بتاثير من قوة شخصيته .

وتبعا لهذه النظرية يبدو محمد باصراره في الدعوة إلى دين الله ، مهما كان الثمن ، باعث تاريخ العرب . ويبدو "لينين" في اصراره على سلوك الطريق الثوري على الطريق التطوري إلى الاشتراكية والشيوعية، باعث التاريخ الثوري الشيوعي .

ووفقا لهذه النظرية حينئذ يكون بوسع القائد أن يبت بقرارات حاسمة في اللحظات العصيبة من التاريخ ما لا تستطيعه أزمان ولا تقدر عليه أجيال .

فالقائد الحقيقي ليس هو القائد التمثيلي ، الذي يرضى رغبات مريديه فحسب ، بل هو وبالخصوص القائد الخلاق الذي تقوم قيادته على ضوء إشاعته لقيم معينة في ظروف معينة ، أو على اعتماده لبرنامج منهجي لتحقيق أهداف معينة ، بحيث تعرف شخصيته العبقرية كما يقول "هيقل" من خلال اقترانها بمبدا ما ، ومن خلال اشعاعها في أقلية مؤمنة من الانصار تجسم في فعاليتها القيم التي تبناها القائد أو المنهج الذي اعتمده .

والقائد الخلاق لا يمكن أن يوصي على ولادته في زمان ما أو مكان ما ، ولكن فترات التوتر والانتقال والتغير في تاريخ المجتمعات هي التي يظهر فيها القادة الخلاقون ، بحيث يلتقي ما عندهم من قدرة على الخلق بما يختلج به المجتمع من تطلع إلى الجديد . وهو لا يتجاهل الواقع ولكن لا يخضع له ، بل يحاول استخدامه للسير بالمجتمع والدولة نحو وضع أفضل . وهو يشبه الطبيب الذي يحاول شفاء مريضه حتى ضد إرادته الظاهرة .

ومما يسهل على القائد رسالته جاذبيته الشخصية وقدرته على أن يشيع بين أتباعه الايمان بأنه الباعث لوعيهم والممثل لما يختلج

في صدورهم ، وأنه الامين على قيم ومصالح عزيزة عليهم وأنه الكفيل بتحقيق رغائبهم وأهدافهم .

وهو إن كان كما ذكرنا سابقا وليد الازمات التاريخية وفترات التطور ، فهو يتفاعل معها باختيار الظروف والطرق والوسائل الفضلى لتحويل مجرى الاحداث نحو الوجهة المرجوة .

فالقائد الحقيقي الخلاق حينئذ هو الذي يكون في مستوى الاحداث التي يجابهها والمسؤوليات التي عليه تحملها والواجب الذي عليه القيام به ، وان اغتنام الفرص الملائمة لبلوغ الغاية المنشودة هو معيار القائد وأن كل قرار يتخذه القائد هو اختيار : اختيار للقرار بدل اللاقرار ، واختيار لتوقيت القرار واختيار لنوع القرار .

وكل تلك الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد تفرض عليه عن عدة مخاطر منها خطر "الاوليغارشية" أي انفراد اقلية بالسلطة والنفوذ ، وخطر "الديماغوجية" أي استثمار عاطفة الجماهير وخطر "التكنوكراسية" أي الشطط في دور أصحاب الخبرة والفنيين.

كما تتطلب ، باضافة إلى مستوى عاطفي وفكري وخلقي راق ، حياة طويلة من النضال الحزبي والتجربة السياسية الكفيلة بصقل مواهبه وبتجنبه المزالق والاخطار وتجعله يحرص على التجاوب بينه وبين مواطنيه وعلى تأمين من يصلح لخلافته حتى تتواصل رسالته في تحقيق الخير العام وحياة العزة والكرامة والمناعة للوطن .

الدكتور عبد المجيد رزق الله

لم أعد أفزع من الموت ولو جاء اللحظة

بقلم : سيد قطب

هذه الخواطر كنا انفردنا بنشرها سنة 1959 ، في العدد السادس من المجلة وسيد قطب في السجن ورأينا اليوم إعادة نشرها والرجل صريع من أجل مبادئه وعقيدته • وقد كنا عللنا نشرها في ذلك الوقت بأنها شهادة إنسان في شؤون الانسان الوجودية وأنها دليل على الرجل يتمسك بما يعتقد فيناله العذاب والسجن ولا أروع ولا أسمى من الانسان يصدق في القول ويخلص في العمل • فما بالك اليوم والرجل يستشهد من أجل ما يراه الحق ولا يفزع من الموت من فرط إيمانه •

ونحن إذ نعيد نشر هذه الخواطر التي ارسلها إلى اخته في ذلك الوقت نعتقد أنها نفسية الكاتب في أيام المحنة ويمكن اعتبارها وصيته للناس قبل موته •

ـ الفكر ـ

(1)

أختي الحبيبة... هذه الخواطر مهداة إليك ...

ان فكرة الموت ما تزال تخيل لك ، فتتصورينه في كل مكان ، ووراء كل شيء وتحسبينه قوة طاغية تظل الحياة والاحياء ، وترين الحياة بجانبه ضئيلة واجفة مذعورة .

انني أنظر اللحظة فلا أراه الا قوة ضئيلة حسيرة بجانب قوى الحياة الزاخرة الطافرة الغامرة ، وما يكاد يصنع شيئا الا أن يلتقط الفتات الساقط من مائدة الحياة ليقتات ...

مد الحياة الزاخر هو ذا يعج من حولي ... : كل شيء إلى نماء وتدفق وازدهار... الامهات تحمل وتضع : الناس والحيوان سواء . الطيور والاسماك والحشرات تدفع بالبيض المتفتح عن أحياء وحياة ...

الارض تنفجر بالنبت المتفتح عن أزهار وثمار ... السماء تتدفق بالمطر، والبحار تعج بالامواج ... كل شيء ينمو على هذه الارض ويزداد ...

بعد الحين والحين يندفع الموت فينهش نهشة ويمضي ، أو يقبع حتى يلتقط بعض الفتات الساقط من مائدة الحياة ليقتات ... والحياة ماضية في طريقها ، حية متدفقة فوارة ، لا تكاد تحس بالموت أو تراه ...

لقد تصرخ مرة من الالم ، حين ينهش الموت من جسمها نهشة ، ولكن الجرح سرعان ما يندمل ؛ وصرخة الالم سرعان ما تستحيل مراحا ... ويندفع الناس والحيوان ، الطير والاسماك ، الدود والحشرات ، العشب والاشجار ، تغمر وجه الارض بالحياة والاحياء ... والموت قابع هنالك ينهش نهشة ويمضي ... أو يتسقط الفتات الساقط من مائدة الحياة ليقتات ...



الشمس تطلع . والشمس تغرب ، والارض من حولها تدور ، والحياة تنبثق من هنا ومن هناك ... كل شيء إلى نماء ... نماء في العدد والنوع ، نماء في الكم والكيف ... لو كان الموت يصنع شيئاً لوقف مد الحياة ... ولكنه قوة ضئيلة حسيرة ، بجانب قوى الحياة الزاخرة الطاخرة الغامرة ...

من قوة الله الحي .... تنبثق الحياة وتنداح ..

(2)

عندما نعيش لذواتنا فحسب ، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة ، تبدا من حيث بدأنا نعي ، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود ..

أما عندما نعيش لغيرنا ، أي عندما نعيش لفكرة ، فان الحياة تبدو طويلة عميقة ، تبدا من حيث بدأت الانسانية ، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الارض ...

اننا نربح أضعاف عمرنا الفردي في هذه الحالة ، نربحها حقيقة لا وهما ، فتصور الحياة على هذا النحو ، يضاعف شعورنا بأيامنا وساعاتنا ولحظاتنا . وليس الحياة بعد السنين ، ولكنها بعداد المشاعر. وما يسميه "الواقعيون" في هذه الحالة "وهماً" هو في "الواقع" "حقيقة" أصح من كل حقائقهم ... لان الحياة ليست شيئاً آخر غير شعور الانسان بالحياة . جرد أي انسان من الشعور بحياته تجرده من الحياة ذاتها في معناها الحقيقي ، ومتى أحس الانسان شعورا مضاعفا بحياته ، فقد عاش حياة مضاعفة فعلا ...

يبدو لي أن المسألة من البداهة بحيث لا تحتاج إلى جدال ..

إننا نعيش لانفسنا حياة مضاعفة ، حينما نعيش للآخرين ، وبقدر ما نضاعف إحساسنا بالآخرين ، نضاعف إحساسنا بحياتنا ، ونضاعف هذه الحياة ذاتها في النهاية .

(3)

بذرة الشر تهيج ، ولكن بذرة الخير ، تثمر ، ان الاولى ترتفع في الفضاء سريعا ولكن جذورها في التربة قريبة ، حتى لتحجب عن شجرة الخير النور والهواء ولكن شجرة الخير تظل في نموها البطيء ، لان عمق جذورها في التربة يعوضها عن الدفء والهواء ..

مع أننا حين نتجاوز المظهر المزور البراق لشجرة الشر ، ونتحدث عن قوتها الحقيقية وصلابتها ، تبدو لنا واهنة هشة نافشة في غير صلابة حقيقية ... على حين تصبر شجرة الخير على البلاء ، وتتماسك للعاصفة ، وتظل في نموها الهادىء البطيء ، لا تحفل بما ترجمها به شجرة الشرّ من أقذاء وأشواك ...

عندما نلمس الجانب الطيب في نفوس الناس ، نجد أن هناك خيرا كثيرا قد لا تراه العيون أول وهلة ...

لقد جربت ذلك ، جربته مع الكثيرين .. حتى الذين يبدو في أوّل الامر أنَّهم شريرون أو فقراء الشعور ..

شيء من العطف على أخطائهم ، وحماقاتهم ، شيء من الود الحقيقي لهم ، شيء من العناية — غير المتصنعة — باهتماماتهم وهمومهم ... ثم ينكشف لك النبع الخير في نفوسهم ، حين يمنحونك حبهم ومودّتهم وثقتهم ، في مقابل القليل الذي أعطيتهم إياه من نفسك ، متى أعطيتهم اياه في صدق وصفاء واخلاص . ان الشر ليس عميقا في النفس الانسانية الى الحد الذي نتصوره أحيانا . انه في تلك القشرة الصلبة التي يواجهون بها كفاح الحياة للبقاء .. فإذا أمنوا تكشفت تلك القشرة الصلبة عن ثمرة حلوة شهيّة .. هذه الثمرة الحلوة ، إنّما تتكشف لمن يستطيع أن يشعر النّاس بالامن في جانبه ، بالثقة في مودته ، بالعطف الحقيقي على كفاحهم وآلامهم ، وعلى أخطائهم وعلى حماقاتهم كذلك ... وشيء من سعة الصدر في أوّل الامر كفيل بتحقيق ذلك كله، أقرب مما يتوقع الكثيرون ... لقد جربت ذلك ، جربته بنفسي . فلست اطلقها مجرد كلمات مجنحة وليدة احلام وأوهام ...

(4)

عندما تنمو في نفوسنا بذور الحب والعطف والخير نعفي أنفسنا من أعباء ومشقات كثيرة.. اننا لن نكون في حاجة الى ان نتملق للآخرين لاننا سنكون يومئذ صادقين مخلصين اذ نزجي إليهم الثناء . إنّنا سنكشف في نفوسهم عن كنوز من الخير وسنجد لهم مزايا طيبة تثني عليها حين تثني ونحن صادقون . ولن يعدم انسان ناحية خيرة أو مزية حسنة تؤهله لكلمة طيبة .. ولكننا لا نطلع عليها ولا نراها الا حين تنمو في نفوسنا بذرة الحب ...

كذلك لن نكون في حاجة لان نحمل انفسنا مؤونة التضايق منهم ولا حتى مؤونة الصبر على اخطائهم وحماقاتهم لاننّا سنعطف على مواضع الضعف والنقص ولن نفتش عليها لنراها يوم تنمو في نفوسنا بذرة العطف أو بطبيعة الحال لن نجشم أنفسنا عناء الحقد عليهم أو عبء الحذر منهم فانما نحقد على الآخرين لان بذرة الخير لم تنم في نفوسنا نموا كافيا ونتخوف منهم لان عنصر الثقة في الخير ينقصنا.

كم نمنح انفسنا من الطمأنينة والراحة والسعادة ، حين نمنح الآخرين عطفنا وحبنا وثقتنا ، يوم تنمو في نفوسنا بذرة الحب والعطف والخير .

(5)

حين نعتزل الناس لاننا نحس أننّا أطهر منهم روحا ، أو أطيب منهم قلبا ، أو ارحب منهم نفسا أو اذكى منهم عقلا لا نكون قد صنعنا شيئا كبيرا ... لقد اخترنا لانفسنا ايسر السبل وأقلها مؤونة.

ان العظمة الحقيقية : ان نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ورفعهم الى مستوانا بقدر ما نستطيع .

انه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العليا ومثلنا السامية أو ان نتملق هؤلاء النّاس ونثني على رذائلهم أو أن نشعرهم أننّا أعلى منهم أفقا .. أن التوفيق بين هذه المتناقضات ، وسعة الصدر لما يتطلبه هذا التوفيق من جهد : هو العظمة الحقيقية ..

(6)

عندما نصل إلى مستوى معين من القدرة نحس أنه لا يعيبنا أن نطلب مساعدة الآخرين لنا ، حتى أولئك الذين هم أقل منا مقدرة أو لا يغض من قيمتنا أن نصنع كل شيء بأنفسنا ، ونستنكف أن نطلب عون الآخرين لنا ، أو أن نضم جهدهم إلى جهودنا .. كما نستشعر الغضاضة في ان يعرف النّاس أنّه كان لذلك العون اثر في صعودنا إلى القمة .. إننّا نصنع هذا كلّه حين لا تكون ثقتنا بانفسنا كبيرة أي عندما نكون بالفعل ضعفاء في ناحية من النواحي .. أما حين نكون

اقوياء حقا فلن نستشعر من هذا كلّه شيئا :: ان الطفل هو الذى يحاول أن يبعد يدك التي تسنده ولو يتكفّا في المسير .

عندما نصل إلى مستوى معين من القدرة ، سنستقبل عون الآخرين لنا بروح الشكر والفرح .. الشكر لما يقدم لنا من عون .. والفرح بان هناك من يؤمن بما نؤمن به نحن .. فيشاركنا الجهد والتبعة .. ان الفرح بالتجاوب الشعوري ، هو الفرح المقدس الطليق ..:

(7)

اننا نحب أن "نحتكر" افكارنا وعقائدنا ، ونغضب حين ينتحلها الآخرون لا نفسهم ، ونجتهد في توكيد نسبتها إلينا ، وعدوان الآخرين عليها . إننا إنما نصنع ذلك كله ، حين لا يكون ايماننا بهذه الافكار والعقائد كبيرا ، حين لا تكون منبثقة من أعماقنا كما لو كانت بغير إرادة منا حين لا تكون هي ذاتها أحب إلينا من ذواتنا :

ان الفرح الصافي هو الثمرة الطبيعية لان نرى افكارنا وعقائدنا ملكا للآخرين ، ونحن بعد أحياء وان مجرد تصورنا لها إنّها ستصبح — ولو بعد مفارقتنا لوجه هذه الارض — زادا للآخرين وريا ، ليكفى لان تفيض قلوبنا بالرضى والسعادة والاطمئنان :

"التجار" وحدهم هم الذين يحرصون على "العلاقات التجارية" لبضائعهم كي لا يستغلها الآخرون ويسلبوهم حقهم من الربح أما المفكرون وأصحاب العقائد فكل سعادتهم في أن يتقاسم النّاس افكارهم وعقائدهم ويؤمنوا بها إلى حد ان ينسبوها لانفسهم لا إلى أصحابها الاولين .

انهم لا يعتقدون أنهم "أصحاب" هذه الافكار والعقائد ، إنما هم مجرد "وسطاء" في نقلها وترجمتها .. إنهم يحسون أن النبع الذي يستمدون منه ليس من خلقهم . ولا من صنع أيديهم . وكل فرحهم المقدّس ، إنّما هو ثمرة اطمئنانهم إلى أنهم على اتصال بهذا النبع الاصيل ...

(8)

الفرق بعيد .. جد بعيد .. : بين أن نفهم الحقائق ، وان ندرك الحقائق . أن الاولى هي : العلم .. والثانية هي : المعرفة ...

في الاولى : نحن نتعامل مع ألفاظ ومعان مجرّدة .. أو مع تجارب ونتائج جزئية ..

وفي الثانية : نحن نتعامل مع استجابات حية ، ومدركات كلية..

في الاولى : ترد إلينا المعلومات من خارج ذواتنا ، ثم تبقى في عقولنا متحيزة متميزة ..

وفي الثانية : تنبثق الحقائق من أعماقنا ، يجري فيها الدم الذي يجري في عروقنا واوشاجنا ، ويتسق اشماعها مع نبضنا الذاتي ...

في الاولى : توجد "الخانات" والعناوين : خانة العلم ، وتحتها عنواناته وهي شتى.. خانة الدين وتحتها عنوانات فصوله وأبوابه.. وخانة الفن وتحتها عنوانات مناهجه واتجاهاته ..

وفي الثانية : توجد الطاقة الواحدة ، المتصلة بالطاقة الكونية الكبرى .. يوجد الجدول السارب ، الواصل إلى النبع الاصيل ...

(9)

نحن في حاجة ملحة إلى المتخصصين في كل فرع من فروع المعارف الانسانية أولئك الذين يتخذون من معالمهم ومكاتبهم صوامع واديرة ... ويهبون للفرع الذي تخصصوا فيه ، لا بشعور التضحية فحسب ، بل بشعور اللذة كذلك ... شعور العابد الذي يهب روحه لالهه وهو فرحان ... ولكننا مع هذا يجب أن ندرك أن هؤلاء ليسوا هم الذين يوجهون الى الحياة أو يختارون للبشرية الطريق ...

ان الرواد كانوا دائما ، وسيكونون هم أصحاب الطاقات الروحية الفائقة هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدّسة التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف ، وتنكشف في ضوئها طريق الرحلة ، مزوده بكل هذه الجزئيات قويّة بهذا الزاد ، وهي تغذ السير نحو الهدف السامي البعيد .. :

هؤلاء الرواد هم الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة، المتعددة المظاهر في : العلم ، والفن ، والعقيدة ، والعمل ، فلا يحتقرون واحدا منها ولا يرفعونه كذلك فوق مستواه ...

الصغار وحدهم ، هم الذين يعتقدون أن هناك تعارضا بين هذه القوى المتنوعة المظاهر ، فيحاربون العلم باسم الدين ، أو الدين باسم العلم ..

ويحتقرون الفن باسم العمل ، أو الحرية الدافعة باسم العقيدة المتصوفة .. ذلك أنهم يدركون كل قوة من هذه القوى ، منعزلة عن مجموعة من القوى الاخرى الصادرة كلها من النبع الواحد ، من تلك القوة الكبرى المسيطرة على هذا الوجود ... ولكن الرواد الكبار يدركون تلك الوحدة ، لانهم متصلون بذلك النبع الاصيل ، ومنه يستمدون .

انهم قليلون .. قليلون في تاريخ البشرية .. بل نادرون ... ولكن منهم الكفاية .... فالقوة المترفة على هذا الكون ، هي التي تصوغهم ، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب .

(10)

الاستسلام المطلق للاعتقاد في الخوارق والقوى المجهولة خطر، لانه يقود إلى الخرافة.. ويحول الحياة إلى وهم كبير ...

ولكن التنكر المطلق لهذا الاعتقاد ليس أقل خطرا : لانه يغلق منافذ المجهول كله ، وينكر كل قوة غير منظورة لا لشيء إلا لانها قد تكون أكبر من ادراكنا البشري في فترة من فترات حياتنا ، وبذلك يصغر من هذا الوجود.مساحة وطاقة،وقيمة كذلك،ويحده بحدود"المعلوم" وهو إلى هذه اللحظة حين يقاس إلى عظمة الكون ــ ضئيل .. جد ضئيل..

ان حياة الانسان على هذه الارض ، سلسلة من العجز عن إدراك القوى الكونية أو سلسلة من القدرة على إدراك هذه القوى ، كلما شب عن الطوق وخطا خطوة إلى الامام في طريقه الطويل

إن قدرة الانسان في وقت بعد على إدراك إحدى قوى الكون التي كانت مجهولة له منذ لحظة وكانت فوق طاقته وفوق إدراكه في وقت

ما .. لكفيلة بأن تفتح بصيرته على أن هناك قوى أخرى لم يدركها بعد لانه لا يزال في دور التجريب .

ان احترام العقل البشري ذاته لخليق بأن نحسب المجهول حسابه في حياتنا لا لنكل إليه كل أمورنا كما يصنع المتعلقون بالوهم والخرافة ولكن لكي نحس عظمة هذا الكون على حقيقتها ولكي نعرف لانفسنا قدرها في كيان هذا الكون العريض وان هذا لخليق بانيفتح للروح الانسانية كوى كثيرة للمعرفة وللشعور بالوشائج التي تربطنا بالكون من داخلنا وهي بلاشك أكبر وأعمق من كل ما أدركناه بعقولنا حتى اليوم بدليل أننا ما نزال نكشف في كل يوم عن مجهول جديد ، وأننا لا نزال بعد نعيش.

(11)

من الناس في هذا الزمان من يرى في الاعتراف بعظمة الله المطلقة غضا من قيمة الانسان واصغارا لشانه في الوجود : كانما الله والانسان ندان يتنافسان على العظمة والقوة في هذا الوجـود .

انا احس انه كلما ازددنا شعورا بعظمة الله المطلقة زدنا نحن أنفسنا عظمة لاننا من صنع آله عظيم .

إن هؤلاء الذين يحسبون انهم يرفعون أنفسهم حين يخفضون في وهمهم الههم أو ينكرونه إنما هم المحدودون الذين لا يستطيعون أن يروا إلا الافق الواطيء القريب .

انهم يظنون أن الانسان انما لجأ إلى الله ابان ضعفه وعجزه فاما الآن فهو من القوة بحيث لا يحتاج إلى آله ، كأنما الضعف يفتح البصيرة والقدرة تطمسها .

ان الانسان لجدير بان يزيد احساسا بعظمة الله المطلقة كلما نمت قوته لانه جدير بأن يدرك مصدر هذه القوة كلما زادت طاقته على الادراك ...

ان المؤمنين بعظمة الله المطلقة لا يجدون في أنفسهم ضعة ولا ضعفا ، بل على العكس يجدون في نفوسهم العزة والمتعة ، باستنادهم إلى القوة الكبرى المسيطرة على هذا الوجود انهم يعرفون أن مجال عظمتهم انما هو في هذه الارض ، وبين هؤلاء الناس فهي لا تصطدم

بعظمة الله المطلقة في هذا الوجود ان لهم رصيدا من العظمة والعزة في ايمانهم العميق لا يجده أولئك الذين ينفخون أنفسهم "كالبالون" حتى ليغطي الورم المنفوخ عن عيونهم كل آفاق الوجـــود .

(12)

أحيانا تتخفى العبودية في ثياب الحرية فتبدو انطلاقا من جميع القيود انطلاقا من العرف والتقاليد ، انطلاقا من تكاليف الانسانية في هذا الوجـــود .

ان هنالك فارقا أساسيا بين الانطلاق من قيود الذلّ والضغط والضعف، والانطلاق من قيود الانسانية وتبعاتها أن الاولى معناها التحرّر الحقيقي أمّا الثانية فمعناها التخلي عن المقومات التي جعلت من الانسان انسانا واطلقته من قيود الحيوانية الثقيلة ...

انها حرية مقنعة لانّها في حقيقتها خضوع وعبودية للميول الحيوانية ، تلك الميول التي قضت البشرية عمرها الطويل وهي تكافحها لتخلص من قيودها الخانقة إلى جو الحرية الانسانية الطليقة ...

لماذا تخجل الانسانية من ابداء ضروراتها ؟ لانها تحس بالفطرة أن السمو مع هذه الضرورات هو أول مقومات الانسانية ان الانطلاق من قيودها هو الحرية ان التغلب على دوافع اللحم والدم وعلى مخاوف الضعف والذل كلاهما سواء في توكيد معنى الانسانية .

(13)

لست ممن يؤمنون بحكاية المبادىء المجردة عن الاشخاص لانه ما المبدأ بغير عقيدة حارة دافعة ؟ وكيف توجد العقيدة الحارة الدافعة في غير قلب انسان ؟

ان المبادىء والافكار في ذاتها — بلا عقيدة دافعة — مجرد كلمات خاوية أو على الاكثر معان ميتة . والذي يمنحها الحياة هي حرارة الايمان المشعة من قلب انسان . لن يؤمن الآخرون بمبدأ أو فكرة تنبت في ذهن بارد لا في قلب مشع .

آمن أنت أولا بفكرتك آمن بها إلى حد الاعتقـــاد الحار. عندئذ

فقط يؤمن بها الآخرون .. والا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة ...

لا حياة لفكرة لم تتقمص روح انسان ، ولم تصبح كائنا يدب على وجه الارض في صورة بشر ... كذلك لا وجود لشخص . في هذا المجال . لا تعمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة واخلاص...

ان التفريق بين الفكرة والشخص كالتفريق بين الروح والجسد أو المعنى واللفظ عملية في بعض الاحيان مستحيلة وفي بعض الاحيان تحمل معنى التحلل والفناء ...

كل فكرة عاشت قد اقتاتت قلب انسان . أما الافكار التي لم تطعم هذا الغذاء المقدس فقد ولدت ميتة ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الامام .

(14)

من الصعب علي أن أتصور كيف يمكن أن نصل إلى غاية نبيلة باستخدام وسيلة خسيسة ؟ ان الغاية النبيلة لا تحيا إلا في قلب نبيل : فكيف يمكن لذلك القلب أن يطيق استخدام وسيلة خسيسة ، بل يهتدي إلى استخدام هذه الوسيلة ؟ حين نخوض إلى الشط الممرع بركة من الوحل لا بد أن نصل إلى الشط ملوثين ... ان أوحال الطريق ستترك آثارها على أقدامنا وعلى مواضع هذه الاقدام كذلك الحال حين نستخدم وسيلة خسيسة : أن الدنس سيعلق بأرواحنا ، وسيترك آثاره في هذه الارواح ، وفي الغاية التي وصلنا إليها .

ان الوسيلة في حساب الروح جزء من الغاية . ففي عالم الروح لا توجد هذه الفوارق والتقسيمات . الشعور الانساني وحدة اذا أحس غاية نبيلة فلن يطيق استخدام وسيلة خسيسة .. بل لن يهتدي إلى استخدامها بطبيعة "الغاية تبرر الوسيلة" ؟" : تلك هي حكمة الغرب الكبرى .. لان الغرب يحيا بذهنه وفي الذهن يمكن أن توجد التقسيمات والفوارق بين الوسائل والغايات .

(15)

بالتجربة عرفت انه لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح

الروحي الشفيف الذي نجده عندما نستطيع أن ندخل العزاء او الرضى، الثقة أو الامل أو الفرح إلى نفوس الاخرين .

انها لذّة سماوية عجيبة ليست في شيء من هذه الارض ، انها تجاوب العنصر السماوي الخالص في طبيعتنا البشرية انها لا تطلب لها جزاء خارجيا ، لان جزاءها كامن فيها .

هنالك مسألة أخرى يقحمها بعض الناس في هذا المجال ، وليست منه في شيء مسألة اعتراف الآخرين بالجميل .

لن أحاول انكار ما في هذا الاعتراف من جمال ذاتي ولا ما فيه من مسرة عظيمة للواهبين ولكن هذا كله شيء آخر ان المسألة هنا مسألة الفرح بأن الخير يجد له صدى ظاهريا قريبا في نفوس الآخرين وهذا الفرح قيمته من غير تلك لانه ليس من طبيعة ذلك الفرح الآخر الذي نحسه مجردا في ذات اللحظة التي يستطيع أن ندخل فيها العزاء أو الرضى الثقة أو الامل أو الفرح في نفوس الآخرين . ان هذا لهو الفرح النقي الخالص الذي ينبع من نفوسنا ويرتد إليها بدون حاجة إلى أي عناصر خارجة عن ذواتنا انه يحمل جزاءه كاملا، لان جزاءه كامن فيه .

(16)

لم أعد أفزع من الموت حتى لو جاء اللحظة . لقد أخذت في هذه الحياة كثيرا أعني : لقد اعطيت ..

أحيانا تصعب التفرقة بين الاخذ والعطاء لانهما يعطيان مدلولا واحدا في عالم الروح . في كل مرة أعطيت لقد أخذت لست أعني أن أحدا قد أعطى لي شيئا أنما أعني أنني أخذت نفس الذي أعطيت لأن فرحتي بما أعطيت لم تكن أقل من فرحة الذين أخذوا .

لم أعد أفزع من الموت حتى لو جاء اللحظة لقد عملت بقدر ما كنت مستطيعا أن أعمل . هناك أشياء كثيرة أود أن أعملها لو مدّ لي في الحياة ولكن الحسرة لن تأكل قلبي إذا لم أستطع : ان آخرين سوف

يقومون بها لن تموت إذا كانت صالحــة للبقــاء فانا مطمئن إلى أن العناية التي تلحظ هذا الوجود لن تدع فكرة صالحة تموت .

لم أعد أفزع من الموت حتى لو جاء اللحظة ، لقد حاولت أن أكون خيرا بقدر ما أستطيع اما اخطائي وغلطاتي فأنا نادم عليها. إني أكل أمرها إلى الله وأرجو رحمته وعفوه أما عقابه فلست قلقا من أجله ، فأنا مطمئن إلى انه عقاب حق وجزاء عدل وقد تعودت أن أحتمل تبعة أعمالي خيرا كانت أو شرا .. فليس يسوؤني أن ألقى جزاء ما أخطات حين يقوم الحســاب .

سيـد قطـب

الادب التونسى الحديث يؤدي رسالته كاملة في القرن العشرين

بقلم : محمد الهـادى العامرى

كان من جراء تطور الادب التونسى الحديث واعتناقه لمذهب التفكير والفكرة واتجاهه نحو المثل العليا وطموحه الى تحقيـق الأهداف الاجتمـاعية للشعب وشعور الكاتب والشاعر بأنهما يعيشان لامتهما كما كان يعيش الاديب العربى القديم للقبيلة يحمى حماها ويذود عن كيانها انبثاق طور آخر وحياة طريفة كلها انبعاث جديد للادب واتجاه معاكس تمام المعاكسة للاتجاه الاول الذى كان يعنى بالقوالب الفارغة التى لا طائل تحتها الا الاناقة اللفظية الخلابة الفارغة ٠

كان هذا الانبعاث الجديد يبدوفى النشريات الحديثة من صحف دورية ومجلات شهرية ودواوين شعرية وكلها طافحة وكلها زاخرة بكل طريف مبتكر لم يعتد الادباء والشعراء خوض غماره سالفا وكل هذه النشريات عن بكرة ابيها تعالج مشاكل الامة وقضاياها السياسية والاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية وسائر ما يعـرض لها فى حياتها الحـديثة من الاحداث الجسام ٠ وبذلك التحم الادب بالشعب وساير حياته واقتحم معمعة النضال الجدى واتجه الكاتب والشاعر والخطيب الى صميم الحياة واتصل بها اتصالا مباشرا واصبح التخلف عن القافلة من العيوب التى لا تغتفر والانعزال عن الركب جناية خطيرة وانبرى الكتاب والشعراء فى سائر الميادين فهذا يحث على طلب العلم بما اوتى من قوة عارضة وبراعة وفصاحة ينشر المقالات الضافية فى محاسن التعليم ويحث على التهافت على الطلب ويدعو الى الرحلة فى طلب العلم ولو بالصيـن ويغـرى الشعب بالتسابق فى اشادة المدارس فاسست المدارس الكثيرة فى اوجز مدة وتنافس الشعب فى اشادتها والنفقة عليها وجاد فى سبيلها وما لـديه قليل وفعلا اتت تلكم المشاريع العلمية اكلها ضعفين وقامت بواجباتها احسن قيام بما لاقته وتلقته انذاك من معونة أدبية وتشجيع مـادى احيانا وحمى وطيس المعركة الادبية وانبرى الكتاب يحبرون الفصول الضـافية فى الدعـوة الى

الاتصاف بمكارم الاخلاق وامهات الفضائل التى لا ترتقى امة بدون ان يتحلى افرادها ويتصف مجتمعها بها لتكون شعارا لها وتنتظم فى سلك الامم المثالية ذات الصيت البعيد فى الخلق الكريم كالصدق والصراحة والاباء • وآخر يشرح فى فصوله نظم الحكم واساليبه القيمة التى تثمر التقدم والرقى •

واروع من هذا كله ظهور شىء جديد غير مالوف فى افق الحياة الادبية القديمة ذلكم هو نضوج الراى العام الذى اصبح يحبذ الكتائب وينتقدها ويهجر ما يستحق الهجر منها ويقبل على الصالح ويعتز به ويفخر ويحث على الاقبال والتهافت عليه بل رفض الشعب كل ادب يدعو الى التعاون مع المستعمر ومسلندته ، وسالت أودية من الحبر فى نقد ذلك الزيف من الادب الكريه الذى لم يجد رواجا بتونس انذاك لامعان الشعب فى المقاومة لهذا الادب اى امعان • وربما انتقم من الدعاة بسائر وسائل الانتقام مما يبرهن انذاك على نضج ووعى بثهما الادب النثرى والشعرى فى النفوس المتطلعة الى الحرية المشرئبة الى الاستقلال العزوفة عن الضيم الابية لكل غضاضة لانها اصبحت شاعرة بمكانتها فى الحياة الحديثة بعد ان كانت مستسلمة يائسة تصحب الدنيا بلا أمل راضخة •

ولعل اقدم نشرية صحفية فى اواخر القرن التاسع عشر خدمت البلاد خدمة جلى فى عنفوان الاستعمار وغطرسته هى صحيفة الحاضرة التى كان يحررها نخبة من علية احرار الرعيل الاول من الادباء التونسيين الذين عالجوا مشاكل ذلك الوضع الغريب معالجة تلائم روح الحياة العابسة وظروفها القاسية فكانت تصدر طافحة بالمقالات المناهضة المناضلة للدخيل بجانب فصول التوعية الداعية الى النهوض من الكبوة بالدعوة الى تاسيس المشاريع الناجعة • وتوالت النشريات الوطنية واشتهرت من بينها صحف ومجلات عديدة راقية كان لها اكبر ضلع فى بث الوعى وخلق جو صالح للنهوض والمقاومة وقراء غيوريين يترقبون صدورها ترقب المشوق المستهام • وليس ذلك فحسب بل كانوا يقفون بجانبها ان صوردت او هددت واشتهر من بين هذه الصحف جريدة الصواب التى يسهر على تحريرها وادارتها كاتب من ابرع الكتاب التونسيين المنعم السيد محمد الجعائبى الذى كان ينشىء الفصول الغرر بمؤازرة الكتاب التونسيين فى سائر المواضيع التى تهم البلاد وتفيد الشعب وبذلك كونت الصواب لنفسها محبين ومريدين وانصارا يهتزون لبروزها ويتهافتون على مطالعتها ويمعنون فى نصرتها • هكذا كانت الصواب وغيرها من الصحف

التونسية الوطنية تشق الطريق لنفسها فى خضم حياة قاسية تحت ضغط هيمنة فادحة تمكن الادب فيها من اداء رسالته بالرغم عما يتهدده من اخطار جمة لا يتسع المجال لشرحها وكانت تلكم الصحف الاصيلة تداب ليلا نهارا على تبليغ رسالة الادب • وان انس لا انسى ما للعمل من كفاح مجيد حافل بالتضحية والمشاق فى سبيل توعية الشعب وخدمة مصالحه واستخدام المواهب الخصبة لفائدته وقد ظلت تنشر الفصول الحكيمة وتعالج القضايا الهامة تؤازرها على ذلك شبكة حصيفة من الصحف المناضلة التى لا يسع المجال للحديث عنها لخدمة الشعب بسائر الطرق الادبية النثرية والشعرية فكانت تلتقى كلها بعملها بصباحها بمرشدها بارادتها باستقلالها بفجرها بفكرها عند ادب الفكرة الذى بث روحا جديدة فى الشعب وصيره يفكر تفكيرا حصيفا ويناقش ووقف الشاعر بجانب النثر يهيب بالشعب ويخاطبه ويحمسه ويستفزه فى تصميم وعزم قائلا :

الحر من لا يستكين لمرهق   فعليك خصمك مم ويحك تتقى
واصدع بحقك فى الاباة ولاتقل   ان البلاء موكل بالمنطق
فالام تستجدى وحقك بين   شلت يد تمتد للمتصدق
تبا لمن ألف الخنوع لغاشم   ما تلك الا شيمة المتملق
أولى واحرى ان يبيت على ظما   من ظل من ماء المهانة يستقى
ففيم احتمالك والكوارث جمة   ممن يراك بنظرة المتفوق
صم وعمى ساخرين تطاولا   منا كأنا فى الورى لم نخلق

ولم يقف الشاعر التونسى عند هذا الحد بل رفع عقيرته مفتخرا بحياته الجديدة فى خدمة امته مغتبطا بتخلصه مما كان فيه من الانقطاع والعزلة قائلا : (وهو امير الشعراء خزنة دار)

هذى الحياة شريفة وتلذ لى   ولها خلقت وطار فيها طائرى
ان شئت كان الشعر سيفا قاطعا   او كان ان أحببت كنز جواهرى
أحمى به وطنى وانصر امتى   قل هكذا والله فخر الظافر
فأنا اللسان وهم فمى لولاهمو   ما كنت منتضيا لسيفى الباتر
فى حب تونس قد اصبت ولم يزل   قلبى غريقا فى الغرام الطاهر

وبذلك تكونت حياة اليقظة والشعور والانتباه للاخطار والتصميم على مقاومتها •

واصطلحت الخطوب على الشعب التونسى فى اواخر الربع الاول من القرن

العشرين واشتدت وطأة الاستعمار عليه واصبح يئن تحت ذلك النير الثقيل ولم يسع الاديب التونسى الثائر الا تجريد القلم وخوض معمعة النضال والاهابة بالشعب فجاهد وجالد كما اسلفنا وضحى بما لديه من القوى واستعذب المر فى سبيل بث التوعية ومكافحة المستعمر بالحجة والبيان والنقد الصارخ الذى كان يقض من مضجع العتاة ويحملهم على الكيد لتلكم الحركة ووادها فى مهدها وعرقلة سعى رجالها بالارهاب والتهديد وحجز الصحف ومحاكمة المحررين لها وعز على الشاعر التونسى ان يقف من المعمعة موقف المتفرج فاندفع بدوره متاثرا خطى الناثر يؤازره ويساعده مساعدة قيمة فى الداخل والخارج • ولم تنس آلام الغربة ولواعج الفراق ــ الاستاذ الاكبر الاديب الفحل الشيخ الخضر بن الحسين صاحب الايادى البيضاء فى خدمة المعرفة بتونس وغيرها فكان يرسل بتحياته الى تونس • وابى ان ينسى فضل الوطن الذى تغذى بلبانه وتعلم بين عرصات مدارسه وكلياته وارتضع افاويق العرفان من اساتذته حتى تأهل لادارة الجامع الازهر بما اوتى من ضلاعة وفصاحة وهو القائل فى حنينه الى تونس :

ما لى لا المح من ذى الجمال سوى الخيال
هلا يعاطينى كؤوس الوصال بلا ملال
فالحب القى مهجتى فى نضال ماضى النضال
ماذا ترى والهجر فيما يقال داء عضال

* * *

يا موطنى لا أنس عهد الشباب عذب الرضاب
وريثما شمر يبغى الذهاب صاح الغراب
بنا وخضنا فى غمار الصعاب بلا حساب
بينى وبين المجد عهد يهاب فلا عتاب

* * *

فصمت بى يا بين عقد الرفاق بعد انتشاق
وقمت تنعى حين شد الوثاق يوم التلاق
والوصل عندى فى ليالى المحاق مثل الفراق
ان فاتنى مرءاهم بالحداق فالود باق

* * *

حيا ربى تونس ذات الزهور عهد السرور
وافتر فى غرة تلك القصور أنس البدور
ما الانس فى اقداح راح تدور ما بين حور
ان التى تلفحنا فى الصدور نار الغيور

يا شاطىء المرسى دم فى سعود　　رغم الحسود
وكن كما كنت لعهد الجدود　　غيل الاسود
يمرح فيك العز بين الجنود　　ضافى البرود
فأنت لا تزهى بتلحين خود　　ونقر عود

ويقف الشاعر المطبوع الموهوب المرحوم صالح سويسى القيروانى على اطلال سبيطلة بتونس معرضا ومجابها للمستعمرين يسوق اليهم العبرة وينفث اليهم الموعظة ليخففوا من غلوائهم ويتعظوا بمن سلف من العتاة المتبرجين الذين حكموا وجاروا وظلموا وما ارعووا حتى صاح بهم الدهر ففرق جمعهم وشتت شملهم وعطل امرهم :

اسائل اطلالا على امة خلت　　وصارت حديث القوم بعد اجيال
وقلت وللآثار صمت وهيبة　　ويكفى اعتبار المَرء من السن الحال
لقد سادوا وشادوا معاقلا　　فلم تغنهم شيئا على دفع آجال
بنوك بنوك حين كانوا على الورى　　يصولون فى الدنيا ببأس واقبال
وقد رفعوا منك البناء وما دروا　　اذا لم يكن عدل سينخفض العالى
لقد حكموا حينا من الدهر وانقضوا　　كأن لم يكن حكم ولا سطوة الوالى
وفى القوس من ذاك البناء اشارة　　لقوس منايا مرسل سهم قتال
وفى جسر ذا الوادى اتعاظ وعبرة　　لمن قد مشى فى الدهر مشية مختال
فكم مر من جند عليه مسلح　　بتدريب قواد وفكرة ابطال
مضى الكل والدنيا كأحلام نائم　　وإلا خيالات تمر باعجال
علوم الورى من غير عدل معاول　　لتخريب عمران وشبكة دجال
ايا اثرا فيه لدى النفس عبرة　　افى ما قضاه الله ردا لافعال
فاين الالى حلوا بمغناك برهة　　وقد ملكوا الدنيا بجيش وابطال
ملوك بغوا والبغى يصرع ربه　　ولو بلغ الافلاك والكوكب العالى
اما لاوروبا اليوم فيك مواعظ　　فتقلع عن ظلم وعن سوء اعمال
فكم عاش فى الدنيا دهاة سياسة　　وكم لعبوا فيها بادوار محتال
وكم ظلموا فى الحكم كل مسالم　　وكم اوقروا ظهر الضعيف باحمال
وكم ضحكوا والدهر جرد سيفه　　فطير هامات على عرشها الحالى
لقد غر بالقوات من كان قبلنا　　فاضحوا ترابا قد يداس باذلال
وقد بقيت آثار علم وقوة　　لتوعظ اهل الملك والجاه والمال
فلاتك بالدنيا خليلى مولعا　　ولا تغترر فيها بانس واقبال
ففى امة (الرومان) اكبر عبرة　　لمن غر فى الدنيا بملك وآمال

وينتفض صاحبنا المرحوم سعيد ابوبكر انتفاضة المذعور المحزون فيخاطب أخت الغزال متأففا ومتألما وباكيا وشاكيا من ضغط ذلك الوضع الجائر والمعاملة القاسية فيرفع عقيرته ثائرا وصاخبا قائلا :

مهلا بربك يا اخت الغزال فقد … صارت مواقفنا فى الموضع الزلج
نخشى السجون اذا قصوا وقائعها … حتى وددنا حياة الغاب والمرج
اما وقد لاح ما تخفى (ضمائرهم) … كنا باوطاننا كالآبق السمج
نقضى الحياة ونرضى من اشعتها … بالدون فى قفص الاشواك والهلج
لهفى على بلد صرنا نسام به … سوم الحمير فلم نخجل ولم نعج
نلقى به الضيم حتى فى منازلنا … مذ لازمتها جيوش الصل والعمج
والبدر تلسعنا اضواء هالته … حتى نسيم الصبا امسى كذى وهج
اواه ايتها الحسناء ليس لنا … الاك منقذة من ذلك العوج
هاك الشبيبة لا تستعظمى عملا … فيها فما صبحنا منها بمنبلج
واستصحبى الحزم فى اخراج ناشئة … واستصحبى الحذق فى غزل وفى نسج
كونى لزهرتهم ماء يبللها … حتى تضوع بما نرجوه من ارج
واستمطرى لهم التهذيب فى صغر … يخطو بامتنا للنقه والفرج
وشل ساعد من حتى بانملة … لم يخدم الشعب بين الكد والهزج

هذا عيض من فيض ووشلة من خضم تبرهن به على ان كتابنا وشعراءنا لم يخلدوا الى السكون ولم ينسوا واجبهم نحو الوطن بل لم يغفلوا طرفة عين عما يجب عليهم من التوعية فى عزم وحزم وكل ذلك كان له اثره العميق فى النفوس واعدادها وتهيئتها للمعركة الكبرى ومقاومة نظام الاستعمار البغيض فكان الادب التونسى من العوامل التى اعانت رجال الانقاذ على تخليص السفينة من الارتطام فى ذلك الزمان والسلام

محمد الهادى العامرى

صوت الشهيد (*)

شعر : محمد الشعبوني

الدمُّ الاحمر عهدي الاخضرُ   والغد الحلو سبيلي الانضر
ونِدائي ثورة تنفجرُ   ولوائي كدمائي أحمرُ
وحبيبي ذاك رمزي الاكبرُ

فتحدثْ أيها التاريخ عني   أنا صوت من ربى الخلد أغني
ولدى أفريلَ أخباري وفني   أنا للخضراء والخضراء مني
أنا عهد تونسيّ مُتمرُ

أنا لحن خالد في كل نادِ   وهتاف بهوى الخضرا ينادي
أنا فجر صيغ من وحي الجهاد   ونسيم فاض من سحر الوِهادْ
رشح المسك به والعنبر

كنت بالامس نداء بالحناجر   وأنا اليوم انتصار ومفاخرْ
روعة تسمو بها دنيا المشاعرْ   ويغني بصداها كل ثائر
أنا بركان الفدا المستعر

بدمي ضمخت ساحات الكفاح   وغسلتُ الدربَ من سيل جراحي
ليمر الشعبُ موفورَ النجاحِ   وعلى جبهته نورُ الصباح
وجلال ذاب فيه عبقر

أنا للفرحة قلب يتوقدْ   ودم صاف قويّ يتجددْ
لو سوى ربّيَ في الايام يُعبَد   لاتخذت الشعب محرابا ومعبدْ
فهو شعب مُؤمن لا يُقهَر

(*) هذا نص القصيد الذي ألقيته بين يدي فخامة الرئيس بقصر سقانص بالمنستير — بمناسبة عكاظية 9 أفريل 1966 .

إنّه شعبُ الفدا شعب الحبيبْ   قاهر الطغيان في اليوم الرهيب
باعث الفرحة والنصر القريب   منه نحيا اليوم من عهد خصيب
وبه أيامنا تزدهر

أنا يا أفريلُ ذيّاكَ الشهيدُ   أنا صوت من بني قومي يريد
برلمانا تونسيا يا (عميد)   برلمانا فيه نبدي ونُعيد
برلمانا (وحبيبا) يأمر.

صرخة ثارت بها أعماق شعبي   وبها صاح دمي واهتز قلبي
وترنمت بما أوحاه حبي   وتلقي آية الايمان ربي
وسما صوتي طليقا يثار.

وهُنا في عالم الخلد الجميل   في رياض الله في ظلٍ ظليل
حول نبع دائم الشدو ، أصيل   قد نسجنا من وريدات الخميل
باقة الذكرى لمَنْ يتذكّرْ

ها أنا أنظر من عليا سمائي   في جلال يوم عيد الشهداء
فأرى الخضراء تزهو بسماء   في انتعاش وانطلاق وبناء
حول حاميها المفدّى تسهر

نبتتْ عند صحاريها السنابلْ   وغراسٌ في رباها تتواصل
وأياد كادحات تتفاعلْ   وقوى من كل فنّ تتكامل
طاب عهد بيننا مخضوضرُ

فرحة الشعب أغانٍ من هوانا   وفيوض المجد دفّق من دمانا
والاماني بسمة تهفو حنانا   وتناجي رائد الشعب أبانا
وهو رمز تونسي أطهر

مظهر الثورة من الخضراء رائعْ   نهضة تسمو وتشييد مصانع
واتحادات غزت كل المجامع   وعمارات أنارتها الصوامع
وقلوب بالاماني تزخر

يقظة تسري وإنجاز تحقّق وتصاميم وخير يتدفّق
وعقول كل يوم تتفتق عن بشارات بها التاريخ أشرق
نعم ما أوحتْ ونعم المصدرُ

في يقين نحن قررنا المصير وقطعنا نحوه نصف المسير
مذهبُ الخضراء اشتراكيٌّ نضيرْ يضمن الفرحة والعيش الوفير
هذه آثاره فلتنظروا

كل من في هذه الدنيا ينادي باسم أحيا ملايين بلادي
وحماها من عذابٍ واضطهاد (يا حبيبا) حل في قلب العبادْ
أملا مزدهرا ينتشر

في فلسطين مباديك الغوالي فتحت عهدا جديدا للنضال
زعزعت أركان أنصار الضلال وضعت حدّا لاحلام جمال
مُذ تحدّاه الحبيب الاسمر

يا حبيبي هذه أحلام شعبك أنت قد أحللتها دوما بقلبك
ها هي اليوم انتصارات لحزبك سر بهذا الشعب مكلوءا بربك
أنتَ فينا الرائد المنتصر

محمد الشعبوني

التجدد والتجديد (1)

بقلم : **محمد الحبيب عباس**

... دراسة حركة التجديد في الادب العربي الحديث : شعرا ونثرا ، تونسيا ، وغير تونسي ، تتقاضى الدارس إلتفاتة جديدة ، تستكنه ولو بايجاز — مدلول : التجديد .

فماذا يراد من التجديد ؟

أ — التجـــدد :

التجدد : ظاهرة كون ، وسنة حياة ، وميزة وجود ، وخصيصة من أهم خصائص الكائن الاجتماعي ، تبرز فيه أكثر من بروزها فيما حوله من مخلوقات الكون ، ومعطيات الطبيعة .

وما ذلك إلا لأن أقدرها على التأثير في مجرى انبعاثها ، وطريق امتدادها ، ومقدار فعاليتها ، يؤثر في ذلك منها بما تهيأ في جبلته من معطيات بشرية خلاقة ، واستعدادات شيطانية هدامة ..

إنه بامكانه أن ييسر لها سبيل التحقق السريع ، ويمد لعجلتها درب الابداع العجيب ، ويختصر لمدها الحراري مراحل العطاء والبناء..

ولكنه — أيضا ، وفي ظروف معاكسة — يستطيع أن يخنق النفس في حلقها منذ البكور ، ويجتث أوصالها قبل الظهور ، ويجمد الحركة في كيانها الغض ولما يستقل ليجاوز مرحلة المخاطرة في سياق

(1) فيما يلي المقدمة التى مهدت للمحاضرة التى القاها الكاتب فى الجامعة الاميريكية ببيروت يوم 20 ماى 1966 عن « دور الاكودى والشابى فى تجديد الشعر العربى الحديث بتونس » وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة فيلسوف الساحل الشيخ سالم بن حميدة الاكودى 1881 — 1961 .

الحياة الفكرية والاجتماعية حين تركد البركة بعفنها الكريه ، فلا تنبجس في حوضها الجامد العيون بنمير المياه،ولا تغمرها السيول بطهور زُلال.

بل هو أقدرها على إخماد جذوتها ، وإهدار طاقتها ، أكثر من استعداده لاحتضان غرستها ، واستنشاق نفحتها ، واستمراء مذاقها..

بهذا الاستعداد المستقر في جبلة الانسان للتأثير على مصير الشرارة المولدة — إيجابا وسلبا — تمتحن أهلية الحيوان العاقل لخلافة الرب في الكون ، كما أن انحيازه لترجيح أي الاستعدادين يعكس مبلغ قابليته لتصريف الحياة ، وحمل الامانة من مراحل التاريخ.

فحيثما حققت الحياة على يدي الانسان كسبا أنُفا في مرفق من مرافقها المتشابكة إلاّ وكانت المسيرة الانسانية — في شتى مظاهرها : الفردية ، والاجتماعية ، والبشرية — منسجمة مع طبيعة الوجود التي لا تعرف جمودا ، ولا يثني تيارها ناطح الاوعار ..

هذا هو معنى التجدد — في مفهومه العام — :

تطور صاعد ، وتولد مطرد ، نمو عضوي دائب ، وخصوبة في دنيا الفتوح لا تعرف اجترارا ، ولا ينتاب شريانها استنزاف ...

وهو بهذا المعنى — وفي حالات شتى — نتيجة للتحديد ، وأثر ينبثق من صميم الذات البشرية الناضجة حين تلتحم بزمانها ، ومكانها : إلتحاما يعزز التفاعل المشترك ، وتلتصق بمجتمعها الخاص أو العام إلتصاقا يحرك صيرورة الحياة إلى مقرها البيِّن من سيرورة التاريخ الدائبة ، تنفخ في هيكلها النامي سنى من روحها المنير .

ب — التجديد :

يراد من التجديد جهد انساني — أي جهد — يستهدف التصرف بوضع من أوضاع الانسان الفكرية ، أو الوجدانية ، أو المادية ... لاستدراك ما فقد من قدرة على أداء دوره الفعال في دفع عجلة التطوّر بلا تتعتع ، أو الاستعاضة عنه بما هو أجدى على الجهود البشرية في الاستزادة من خبايا الكون ، وسبر اغوار النفس الكثيفة ، والتغلغل في شعاب الحياة ...

يراد منه : كل حركة بنّاءة تروم ايجاد توازن محكم بين قوى الذات البشرية ، وما يصدر عنها من معطيات حكمية ، وعلمية ، وفنية ، وبين متطلبات الحياة المعاشة في عالم الروح ، ومناخ العقل ، ونافورة الوجدان ، ودنيا المادة ، كي يظل تكافؤ المؤثر والاثر ، الفكر والفكرة ، الذات والصورة ، النظرية والتطبيق ، الانفعال والمتنفس ، الفرد والمجتمع .. في تلاقح مطرد ، يزيد التجربة — أيا كان نوعها — خصوبة ، ويثرى مكاسب الوجود الحضارية ، ويدعم ثقة الانسان بانسانيته في القدرة على الاستمداد والاجتهاد ، فالاستنبـاط .

إنّه الثمرة اليانعة لانعطاف الانسان على وجوده الذاتي ، وحاضره الاجتماعي ، يستبطنهما عن وعي ، بالنقد والتمحيص ، بالقياس والمقارنة، سعيا وراء تحقيق ذاته في معترك الحياة العابر ، ليتحدى قهر الفناء على بكرة الزمن .

* * *

والتجديد في الفن الجميل — أدبا أو غيره ، شعرا أو نثرا ، نحتا أو رسما ، موسيقى أو رقصا .. — محاولة لخلق تجانس وثيق بين قوتي الادراك والشعور معا — ، وبين الاداة المعبرة عن بنات الافكار، وخلجات الوجدان في سفر تكوينهما حتى نهاية الوضع الفني : شكلا ومضمونا ، حسا ومعنى ، هيكلا وروحا ..

هو عملية يراد منها تطوير أداة التعبير كيما تكون في مستوى التجربة الشخصية ، والشحنة الشعورية التي تعبر عنها — بمختلف عناصرهما الذاتية والاجتماعية — وفق ما نالهما من اكتناز في مرحلة الاختمار الباطني ، وحسبما توفر لهما من حظوظ العطاء الذاتي المبتكر حتى غدتا تفيضان عن الصيغ المتهـرّاتِ . وتنشزان عن القوالب المحكية

وهناك ، وحين تستحدث التأدية الطريفة يستقيم قانون الاخذ والعطاء ، بين الاداة المعبرة ، والمفكرة المولّـدة ، والخلجة الممثّلة، كي تسير عملية الابداع الفني متكافئة التطور ، تزيد من فعالية عنصريها في صعود لا يعرف القهقرى ..

وحتى يصبح الابداع كاملا في وجهي التجربة — أداة ، وماصدقا —

لا أثر للاتكال على أي جهد سابق في مجاليهما : يكون مدلول **التجديد** قد تحقق في أروع مظاهر التحقق ، واكملها .

ـ ولكن هل هذا ـ فقط ـ كل ما يراد من التجديد ؟

ألهذه الدلالة مفهوم آخر غير ذاك ؟

ـ لو قصرنا التجديد على ما يتمخض عنه النبوغ من عمليات الاختراع الصرف الذي لا أثر فيه لاي توكؤ ، لكنا قد ضيقنا واسعا ، واعتسفنا بتحميل المفنن ما لا قبل له باحتماله في حالات عدة .

ما من شك في أن التجديد يعني هذا النوع العالي من الابتداع الانف ، ولكنه عدا ذلك يعني ـ أيضا ، وفي مرتبة لاحقة ـ كل عملية فنية تنبثق عن تجربة سابقة، تتحول خميرتها في مدماك الشخصية الى نتاج متميز عن أصله بأوجه مفارقات شتى ، تذوب في بوتقتها بذور الصياغة الاولى بما غمرها في معادلة التحويل من عناصر مستحدثة ، طغا عليها طابع الاستقلال الشخصي ..

عوامل التجديد :

أ ـ من الوجهة التاريخية ، تكون نزعة التجديد نتيجة لعملية نقدية تنعكس خلالها الذات على العطاء بالسبر والتقييم ، فتفضي إلى الشك : إما في قدرة الاداة المستعملة على مسايرة الخاطرة في انعقادها شحنة عاطفة ، واشراقة وجدان ، ووضوح ادراك ، وعطاء ذات ، أو بحظ التجربة نفسها من العمق والاصالة بما يؤهلها للمستوى الذي يجب أن تكون ...

ب ـ وبحسب ما يتوفر لشخصية الاديب من نضج ذهني ، وحس اجتماعي يكون الاستعداد لفهم التجربة الفنية ، وتعبير عناصرها في مأمن من الزلل أو التحير ...

ج ـ والمقارنة من أهم العوامل التي تذود المجدد للتملي من واقعه في وضح من اليقظة الباطنية النافذة إلى اللباب وفي غير ما انخداع بازياف القشور .

ولن يُنقِص من أهمية المقارنة : جريانها في حدود نوعية واحدة من الانتاج المقارن ، بل تكون أهلا لتحقيق غايتها في تشخيص الحالة حتّى حين تدور بين نماذج متحدة النوع ، وان كانت فعاليتها أوفر حين تتجاوز الحيز المفرد بالامتداد إلى الانــواع ...

وبتعبير أوضح ، وفي نطاق الشعر العربي ، تؤتي المقارنة البصيرة: تجديدا ، ســواء أجاءت :

1) ــ بين شعر عربي لاحق بآخر سابق ، أو بين شعرين عربيين لجيلين مختلفين ، أو بين أشعار جيل واحد تمايزت فيما بينها بسبب أو باخر ..

2) ــ وبأحرى أن تؤتيها في تجاوزها إلى ما هو أرحب ، حين تُعْقد بين شعر عربي ، وشعر آخر غير عربي ، تجايل القائلان ، أم لم يتجايلا .

* * *

ولئن لم يتجدّد الشعر العربي الحديث ــ أول ما بدات حركة تجديده ــ تبعا للنوع الاثرى من نوعي المقارنة ، لقيامها على نزعة الاحياء الداخلي ، حين اتجه رواده إلى التراث العربي لاستلهام دواوين فحوله ، فإن المفكر العربي في المشرق سبق الشاعر المجدد الى ادراك واقع أمته بمقارنة أوضاعها بأوضــاع أمم أخرى ، تطلعت بأطماعها لاسترقاقها ، واتخذت من تفوقها المادي والعلمي ، وتطورها الاجتماعي ذريعة لتهديد مصير شَعْبِـه ..

ولمّا أخذ يُهيب بأمّتِـه كي تستعد لدفع الخطر الرهيب ، وتطلعت النخبة إلى تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، تنبه الشعراء ، وكثيرا ما تجاوزت كفاياتهم نطاق صناعة الشعر إلى التمرس بدور التوعية الجماعية ، لمساعدة القادة على نشر دعــوة الاصــلاح ، وهبوا ينشدون في آثار السلف ما يَسْتَـرِدّونَ به النفحة العلويّة التي تعرت منها اشعارهم ، وأشعار أمثالهم ، تبعا لطريقة من أدركوا ، في توارثهم الشعر المُحَنَّط عمن سبقوا بها تسلسل طبقاتهم إلى الفئة التي حولت الشَجْوَ عن الذات والمحيط بمتكاثف شجونهما : إلى محاكاة باهتة

للمعادلة العروضيَّة في جامد اشباحها مما استقرأه الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فيما جمعه من أوزان وأعاريض ، ما خطر له على بال أن تتحولّ — ذات يوم — اغلال جمود ، وكلاليب تزمت ...

وإذن ، فحركة تجديد الشعر العربي ، بدات في المشرق ، كما بدأت في المغرب : باحياء التراث العربي لكنها وردت في محاولات المشارقة تبعا لما تمخض عن الاحتكاك بالغرب من : اتجاه فكري بدأ بالتســاؤل :

أين تقع الامة العربية — أو الامة الاسلامية — في المدار الاممي الحديث ؟

كيف انزاحت عن محلها في بناء الحضــارة ؟ !

بأية عدّة تقي وجودها من أخطــار الاجتياح الكاسرة ؟

وكان احتكاك المشرق العربي بالغرب بطريقين :

الاول : بطريق الفئات الغربية التي تقاطرت على الارض العربية منذ القرن السادس عشر الميــلادي .

ثم انهمرت أفواج الوافدين ليتخذوا من سورية ولبنان ميدان تنافس لطوائفهم المزدحمة على كسب أكبر عدد ممكن من المواطنين ، وتذرعوا إلى غايتهم تلك بشتى الوسائل ، وكانت النزعة الدينية من ابرز دوافع الحضــور .

وامتدت حركة القدوم ، بعد الشام ، إلى مصر ، مع حملة نابليون سنة 1798 التي لم تتَمَحَّضْ — فقط — لتكريس الهدف العسكري ، ولا لما ينطوي عليه من غايات سياسية واقتصادية ، بل استهدفت — أيضا — ناحية ثقافية اختير لها عدد من العلماء رافقوا الاسطــول .

ومنذ وطئت البعثة أرض مصر توجهت إلى إقامة مركز لبحوثها في القاهــرة ، مستعينة فيما له صلة بشؤون الثقافة الاسلاميّة والعربية بثلة لامعة من علماء الأزهــر .

— والثاني : حصل بطريق الوفود العربية التي انطلقت منذ القرن الثامن عشر إلى أوروبا للاستطلاع والاستفــادة ..

وَنَشَّطَ العامل الديني حركة الرحلة إلى الغرب — كما نشطها منه إلى الشرق — وكانت الخطط السياسيّة وراء البعض من هاتيك الاسفار (١)..

ثم توسعت الرحلة في القرن التاسع عشر ، فاتجهت صوبَ العالم الجديد ، أين ظهر الشعر المهجري بنزعته التجديدية في حركتي : الرابطة القلمية بامريكا الشمالية سنة 1920 بنيويورك ؛ والعصبة الاندلسية في القارة الجنوبية سنة 1935 .

وأيّاما كانت بداية الاحتكاك العربي بحياة الغرب ، فانها لم تلبث أن جمعت بين أثر الجاليات الاوروبية في بلدان المشرق ، وبين الاتجاه إلى مجتمعات القارتين لملابسة التيارات الثقافية والاجتماعيّة ، الامر الذي سمح بتنويع أسباب الاتصال المباشر ، ويسَّرَ سبل الافادة من مقوّمات النهضة الفكريّة في أوروبا : طباعة ونشرا ، صحافة واذاعة ، تحقيقا واحياء ، اقتباسا واستمدادا ..

أهداف التجديد :

وسواء اتجهت حركة التجديد الى احياء التراث القومي، انطلاقا من شعور ذاتي صرف بالحاجة الى تعهد الاداة المعبرة ، والآلة المدبرة ، بمالا دخل لاى عامل خارجي في ظهوره — كما هو الشأن بالنسبة لحركة تجديد الشعر العربي في تونس ، على ما سنفصله فيما ياتي — أو من أزمة فكريّة أثارها اتصال خارجي أسفرت عن حالة فزع شديد من واقع معاش ازاء ما تنعم به اجناس بشريّة أخرى — كما هي الحال بالنسبة لحركة تجديد الشعر في المشرق ام اقتحمت المغامرة بالاشاحة عن كل مايمت إلى القديم بصلة ، في اندفاع الى طلب ما هو حي اندفاعا لا يشوبه أي حذر من بُحران المحاولة في أمواج من المفارقات الهائجة .. فان ظهور حركة التجديد كان وليد حاجة مستديمة في حياة المفكر العربي ، والمثقف العربي ،

---

(١) ترد رحلة الامير فخر الدين المعنى الثاني فى القرن ١٧ مظهرا مبكرا للاتصال السياسى الرسمى بطريق الانتقال لا الاستقبال وان لم يكن لهذه الرحلة اى اثر فى ظهور حركة التجديد فى الادب .

والفنـان العربي ، والاديب العربي .. والحاجة تخلق العضو ، كما هو مقرر في علم الحيـاة .

وبحسب وعي الانسـان لدوره الايجابي في الحياة الاجتماعية ، والبشريّة على السواء ، يكون شعوره بالضرورة الملحة إلى : سدّ الفراغ ، واستدراك الخلل ، وإثراء التجربة ، ورفض الانجرار ، واستقلال الذات ، وتأكيد الشخصية ، وتمثيل الجماعة ، واستنطاق الوجود ، واستكناه الحقيقة ..

وعلى قدر تمكنه من خصلة الفضول ـ احدى طبائعه الراسخة فيه ـ ينساق بأشواقه إلى المعرفة ، والخير ، والجمال إنسياقا يَكْفُر بالقناعة ويرفض الاعالة العالة ، ليصول بجشعه الذهني ، ونهمه الروحي نحو طلب المزيد ، في مأمن من التخم ..

ذلك أن العبقرية عرق معدنها لا يصيبه نفاد ، وقوة هضمها وعطائها لا ينالهما عياء ولا اجهاد ..

محمد الحبيب عباس

محرز !...

قصة : بقلم : فرج المحجوب

... وانطلق الركب يخترق الشارع الكبير الممتد على الشاطىء الهادىء الجميل ، ومن موجاته المنسابة على صفرة الرمل من خلاله الأشعة الذهبيَّة لشمس الاصيل يرتفع سِحرُ الوجود الاقدس وتتجلَّى آية الخلق الدائمة البقاء ..

.. وقد اكتض الرصيف على رحابة صدره ، وطول ذراعيه بالاكتاف البشريَّة المتراصة في ازدحام كبير ، ولها من إحساسها يد عملاقة تدفع بها نحو إشعاع الطالع السعيد الذى شرف الشارع في عبوره ، وأكف الصبايا البضة المعطار تهتزّ بالمناديل حينا ، وبباقات الزهور احيانا أخرى... وردّدت مياه البحر العميق صدى الآف الاصوات وهي تعانق السماء بدعائها الملائكي للقائد البطل المقدام .

كان ذلك مساء يوم من أيام الصيف الجميلة على شاطىء المدينة الخالدة تلك التي كان ميلادها عميق الجذور ممتدا مع الزمن امتداد التاريخ بأميلكار وحنبعل ، إلى حشاد وشاكر وغيرهم من أبطال الوطن المعظمين .. وكان "بوجعفر" الشاطىء الطروب يعانق رواده والضيوف باسم الثغر طلق المحيا ، وكأنَّه يصور للناظرين في مناجاة لذيذة رائعة يصور لهم ما استوعبته حضرموت جوهرة الساحل من آيات الجمال ، وصدق البطولات وسامي التواريخ..

ويستمرّ الركب في سيره البطىء وقد ارتفعت خلفه لوحات ممتازة من الرقص الشعبي ، والغناء الطروب في مجموعة من الاهتزازات الموسيقية الساحرة ، أطربت الصبايا فاندفعن في حماس يزغردن ، وحركت وقار الشيوخ فانتشت سكرى ،كل الناس تترشف كوثر الاستعراض وترتدي حلة الامسيَّة الساحرة ؛ عدا شخصٍ واحدٍ ظلّ لا يبرح مكانه في صمت هادىء وجمود غريب ، فكأنَّه في دنيا غير هذه التي تهتز بأهلها ، وكأنَّه من عالم غير عالم الناس ... ودفعني فضول

القصاص ؛ ذلك الذي يبحث عما خلف الستّار ليذيعه في النّاس كتجربة مصمغة بالفن ، محنطة بالحكمة وصدق الشعـور ...

...اتجهت نحو القابع خلف الجدار الفاصل بين الموج وساعد الطريق ولم يشعر بوجودي أو يتفطّن لوقع أقدامي التي تعمدت احتكاكها بالرصيف عند الاقتراب منه.. لم يشعر بكل ذلك حتى وضعت يدي على رأسه المنحني بالارض ، وبادرته بلهجة من يريد لومه على سكونه هذا وعدم مشاركته الناس أفراحهم قائلا :

— «مالك يا أخي؟ ألم تسمع ؟ ألم تر هذا النور يغمر أرضنا الطيّبة يبعث فيها الحياة والامل والخير ؟ ألم تر ركبَ القائد الاكبر رائد الحريّة وصانع التاريخ .. قم .. قم وافرح مع اخوانك». ..... وهالني جمود الرجل فذابت الكلمات على لساني ، وامحت الافكار من ذهني ، وحلّ محلّ ذلك كله هذه الرعدة الرهيبة تحت وطأة نظراته القاسيّة ، ذات البريق المخيف ، ووجدت نفسي أمام شبح جامد تتقلص أمامه القوى وتضيع.. فتراجعت أو خيّل إليّ ذلك ، وكأنّ أصابع فولاذية امتدّت تجذبني من خلف وتشدني إلى المنظر شدا حيث زُرقة البحر ولون السّماء ، وبعض السابحين هنا وهناك ممن لم يسعفهم الحظّ بالاندفاع في الموكب الكريم .

... وتسمرت واقفا أمامه كالتمثال ، وتحركت الشفاه الغليظة لتلطف من حرارة الموقف بما انتشر عليها من ابتسامة رجراجة صفراء ، فوجدت من نفسي استعدادا للتكلم من جديد ، وتجلّت لي تلك الابتسامة وكأنّها مفتاح سحري مزق الرباط الذي شد لساني ؛ وشعرت كأني في حلم مخيف ومع ذلك تكلمت أجامل من أمامي واتملقه :

— عفوا أخي كان علي أن أكون لطيفا معك غير سباق للتحامل عليك أو لومك ! ... ولكن هذا الوجه الذي أمامي ! ... منْ ... أترى أني أمام محرز ؟ رباه .... وانفلتت الكلمات من لساني عن وعي أو غير وعي ... لست أدري ! ... كانت نظراته إلي حادة متحديه ، احسست معها بألم يقطع أحشائي ، يخترق قلبي ، الذي ارتفعت دقّاته وتسارعت وكدت اسقط بين يديه لولا اني تشجعت ...

وفي لحظة خاطفة تدارك الموقف وأسرع يطاطيء رأسه ويحاول الاختفـاء . قال وهو يخط الرمل بالسبابة والوسطى ...

ــ آش إتْحبْ ياسيدي ؟ واشكون محرز هذا ؟ »
وتبيّن لي أن الرجل يتكلف النطق ، ويفتعل العبارة ، ولكنني ظللت في ريب من موقفي ... تأكدت ما في ذلك شك أن اللهجة ليست طبيعية ، تأكدت كذلك أن النبرة تحدث تجويفا عميقا في نفسي ... ورحت مع الذاكرة استلهم وحيها في حين ظل مخاطبي لا يبرح برأسه الارض منتظرا الجواب ، ولما شعر بالفراغ عاد يرمقني بنظرات كلها ابهام وغموض .. واستطعت آن أتبين الشيب الذي راح يدغدغ رَأْسَهُ والحاجبين ؛ ولم أشعر بالكلمة وهي تنتفض على لساني ... إنّه هو ... هو بعينـه ...

... وتراجعت إلى الورى حيثُ تمكنتُ من التفرس في الوجه الملثم والعمامة السوداء ... وتأكدت ... تأكدت من كل شيءٍ :

... وفي لمحة سريعة رجعت بي الذاكرة إلى اثنتي عشرة سنة خلت إلى سنة 1953 . وبالضبط إلى ليلة 18 جانفي من هذه السنة ... إلى قريتي التي اندفعتْ في موكب النضال إبّان الثورة الكبرى حيث أسهمت بشبابها في معركة البقاء الاعظم ... معركة الحريّة والانطلاق. ... كانت الليلة تمر في ساعاتها المتلاحقة كغيرها من ليالي المحنة ! قتلىَ ، واعدامات ، تعذيب وارهاق ، مسغبة وجوع ، أنين وبكاء ، ... كل هذه المآسي يعيشُها المجاهدون في صبر وإيمان، صبر في الصمود وإيمان بالنصر ... وكان ثلاثتهُمْ في حديث شبه همس :

صالح : ــ إسْمعت ياناصر آش عَمْلُوا الاوغاد اليوم ؟

الناصر : ــ إينعم ياصالح ... إسمعت أو ريت كل شيءٍ من صومعة الجامع

محمد : ــ كيفاش ؟. تتفرّجْ من الصمعة يَاخي مارَاوُوكِش ؟

الناصر : ــ إحتْطت للامر يامحمد وَمَعَ ذلك حتّى لوْكان إتْفطنو لي ماكنتِش نِتْراجع أبدا ، لانّي وقتها إنفذفي أمرِ إتْلاقيتُو.

صالح : — إعْملت تقرير في الموضـوع .

الناصر : — نعم ... واتكلفنا بمهمة .. الليلة !..

صالح ومحمد — ما هي ؟

الناصر : — ; ما زال وقتها ما أوصلش !

صالح : — حدثنا يا ناصر اشنوّ ريت من الصحمة واشنوه اللي عملوه الاوغـاد في المواطنين ؟

الناصر : — أخطر ما شفت في حياتِي ؛ قسوة ما تتوصفشي أوحْشية ما تتحكاش ... حلْي مخطوفْ .. افلوس مسروقه ، أدباش امزقه أو محروقه .. كهول مقتُوله .. نسوه احباله اتشرقت كروشهم ، واتقتلت أولادهم . أوعمري ما ننْسى هاك المنظر ... منظر واحده من المواطنات كيفاش هزت قطعة فأس أو حبت إدّافعْ على شرفْها ، لكن الرصاص قطّعلهَا قلبها ، قبل ما تهز يدها .. أوسقطت المسكينة اتخوض في دمّها

... ما ابقالناش حياة بإخواني .. ما ابقاناش عيش بعد اليوم ... يلزم نغسلو العار ، والاّ انموُتو من أجل بلادنا واشْرفنَا ... أو تعرفوش آش كون صاحب ها العماله .. آش كون اللي باع القرية كاملة .. هو محرز ياسيدي .. يا نعم محرز ... هاك اللي دينو ووطنو ما القاوش فيه الخير !

صالح : — اعملها الكلب ... والله عرفتو ، واتوقعتها منو ..

النّاصر : — قدّاش الوقت توه يا محمد ؟

محمد : — نصف الليل .

الناصر : — جا وقت العمل .. على استعـداد ؟

صالح ومحمد — نعم يا ناصر !

الناصر : — يلزم تحطيم مركز الجندرمه الليلة بأي وسيلة ؟

ـ انتومه لثنين تبقْـاوْ فوق السطح من جهـة الطريق العام، أوقت ما تسمعوا الانفجار صبو النّار على كل من يحاول القرب من المركز لنجدة الجندرمه .. وأنا طالي باش نشعل القنبله .. هيا فاهمين !

صالح ومحمد ـ نعم ... نعم يا ناصر ..

الناصر : ـ إلى اللقـاء ...

... انتهى الامر ، وتم القضاء على ثلاثين من وحوش الاستعمـار ، الا عميلهم محرز فقد أفلت من الحادث بأعجوبة ، أفلت محرز ليدبّر المكيدة الخطيرة ضد النّاصر ، وحيد شيخ القرية وأمامها ، حيث بعث به إلى المقصلة في أقل من عشرين يوما بعد حادث الانفجار، وعبثا حاول أهل القرية الانتقام منه ... وجاء الاستقلال ، وانتصر الحق ، والتجأ محرز إلى فرنسا خوفا من القصاص واستمرّ بها حتّى صائفة1962حين عاد ، وفي عزمه شيء واحد يصنعه ثم يستقبل الموت في ابتسام واطمئنان ضمير ... انه يريد أن يطلب الصفح من أهل القرية... من أهله وذويه ... من الامام بالذات معلمه طفلا ، وراعيه صغيرا . ... ان ضمير المؤمن لابد أن يستيقظ في لحظة ليلعن ماضيه الاقتم، ويبحث عن الخلاص من قيوده الآثمة ، وهكذا ظل محرز الذي غمس القرية في ماساة من القتلى والضحايا حيث كانت أرامل ، وكان يتامى ، وكان هذا الشيخ الوقور إمام البلدة الذي كلما شاهده محرز ينقل خطاه في بطء وقد افقده الحزن بصرة ... كلما شاهده زُلْزِلتْ الارض تحت رجليه ولعن ماضيه البغيض ...

... تلك هي الذكريات التي مرت بي في عجالة وأنا مسمر أمام هذا الشيخ "الذاوي . وكأنه شعر بتفطني إليه ، فأسلم رأسه إلى الارض وراح في صمت عميق ... ولم أشعر كيف امتدّت يدي في عنف حيث الرأس المترنحة ، وبقوّة رفعتها نحوي لاسدّدَ لها الضربة القاضية التي تحمل غضب ولعنـات أهل القرية جميعا ... وجمدتْ يدي حيثُ هي ، وطأطأت رأسي في خشُوع عميق ، وإيمان بأن تونس لن تنجب ، ولن يبقى على أرضها عاق ولا سفّاك ، حين رأيت دموع التوبة والندم تخضب الشيب المكتظ على سحنة محرز الجديـد .

فـرج المحجـوب

أبو الحسن الكراي

بقلم : أبو بكر عبد الكافي

ان اسم أبي الحسن الكراي ، يحتل مكانة مرموقة في أكثر الأوساط التونسية وعلى الأخص الصفاقسية منها ، وذكره دائما يحاط بهالة من الإجلال والتعظيم ويقرن بالفاظ التبرك وما اليها ، مما يبعث في الباحث الإهتمام ، ويحثه على درس حياته والأسباب التي جعلته يتمركز كل هذا التمركز في النفوس ويحتل اسمه القلوب ، ويبلغ صيته من الشهرة ما لم يبلغه غيره من أمثاله حتى غدا حَيّاً مع الزمن ،

ويزداد المرد إمعانا في التفكير عندما يرى مكانة الرجل متعمقة في التاريخ تعيش أكثر من القرنين ونصف القرن .

ولا أدل على ذلك من مسجده الذى أفرغ في بنائه ونقشه فنّو القرن الحادى عشر الهجرى خلاصة نبوغهم الفكري والصناعي ، حتى بدا متحفا رائعا وقطعة فنية غاية في الإبداع ، ترى فيها ألوان النقش والخطوط والزخرف والبناء ، ولولا ما كان لصاحبه عند الناس من مقام ما كانت تلك العناية الفائقة بمسجده ؟

وأبو الحسن علي بن أبي بكر الكراي تتلاقى سلسلة نسبه في جده الرابع الشيخ علي الكراي المشهور بأبي بغيلة . وان تتبعنا السلسلة النسبية فهي تصل إلى الجد الأعلى محمد بن محمد وفا الإسكندري وقيل المغربي ثم المصرى الشاذلي الصوفي .

وكان جده علي الكراي دفين حارة الدّنّا الواقعة بآخر النهج المسمى باسمه ، كثير التكرار للقرآن العظيم فسمي الكرار ثم ابدلت الراء الأخيرة بياء فصار الكراي .

وكان مولد المترجم له سنة 1026 هـ بمدينة صفاقس التي بها نشأ وترعرع وتعلم حتى غدا من الرجال العاملين ، ومن علماء صفاقس الصوفيين

أخذ العلم والحديث والتصوف عن علماء كثيرين منهم والده أبو بكر الكراي ومفتي صفاقس في عهده الشيخ عبيد بن المنتصر بن أحمد اللومي وجاء في مناقبه التي الفها تلميذه الحاج محمد المراكشي المتوفي سنة 1148 هـ ما يفيد أنه أخذ :

1) عن المحقق الشيخ علي النعاس وقد تطلب عليه بتونس ، « وكان رجلا بصيرا فصيحا سهل العبارة » .

2) والشيخ مبارك الذي هو ثالث اثنين أخذا عن سيدى أبي عبد الله محمد السنوسي والكراي رابعهم .

3) ومحمد البتروني من جبل زواوه أخذ عنه التوحيد في حالة اعتكافه .

4) والعالم المحقق المناوي ، وقد مدح تلميذه أبا الحسن بقصيدة .

5) محمد بن عبد السلام اللقاني

7) وحضر مجالس الشيخ الأجهوري وكان كفيف البصر ويجلس للتدريس وعلى وجهه خامة سوداء .

8) أخذ الطريقة على الشيخ علي الوحيشي بالقيروان سنة 1055 هـ (1) .

ومن سلسلة شيوخه هذه نعلم أن الرجل ما اقتنع في طلب العلم عن علماء بلده بل تنقل في البلدان والأقطار . وأروى من مناهل العلم المتداولة دراستها في عهده .

ثم نراه بعد ذلك قد تفرغ كل التفرغ للعلم رواية وتعليما . وأدل دليل يؤيد لنا ذلك مكتبته الضخمة الملانة بكتب العلم على مختلف مشاربه وفنونه ، وما زال جزء منها موجودا بصفاقس ، وهو يشتمل على عشرات المخطوطات كانت بخزانة مسجده في حالة يرثى لها من حيث الإهمال والتمزيق، والتشويش واستئصال الأرضة ، والغبار . وفي السنة الماضية 1965 وقع نقلها إلى دار الجلولي للاثار .

ولم تسلم مكتبة الكراي من إعتداء جيوش الإحتلال الفرنسي سنة 1881م أيام احتلالها لصفاقس ، لأننا نرى آثار الحرق واضحة في عدة مخطوطات منها .

وهي تشتمل على عدد وافر من كتب الكلام والفقه والحديث والتصوف ، والتفسير واللغة وبها أيضا بقية كتاب في الحساب والهيئة والأدب والتاريخ والطب .

وبها عدد لا بأس به بخط صاحبها أبي الحسن الكراي وهو يسجل اسمه في آخر الكتاب هكذا :

كتبه العبد الفقير لربه أبو الحسن ابن أبي بكر الكراي شهر كذا سنة كذا

وبها أيضا مخطوطات بخط شيخه المفتي عبيد اللومي المتوفى سنة 1056 هـ

وبالإطلاع على هذه المكتبة نعلم مكانة الرجل العلمية ووجودها ذاته يدل على عنايته بالعلم ونشره .

وقد تتلمذ للمترجم له كثيرون من أبناء صفاقس وغيرها وكانت لهم بعده مكانة في نشر العلم . ومن تلاميذه :

1) محمد الحكموني الذي تولى القضاء والإفتاء بصفاقس أولا . ثم ببلدة المنصورة في مصر ثانيا .

2) المفتي الخطيب الإمام عبد العزيز بن محمد بن عبد اللطيف الفراتي المتوفي سنة 1131 هـ .

3) الحاج محمد المراكشي مؤلف مناقبه والذي لازمه حياته وانزله منزلة الإبن ، وبقيت مشيخة الزاوية في احفاده .

4) علي بن أحمد المطوى .

5) محمد بن محمد الغرياني .

6) أحمد الغيداوي المطوى .

وغيرهم كثير .

وقد كان الكراي مكثارا من البر والإحسان ، اشتهر بحب الفقراء والمساكين ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يبالي ، لا ينفك عن بث الأخلاق الحميدة والفضائل في نفوس مريديه مع أنه عرف بالتقوى والورع وملازمة الزهد في الدنيا وملذاتها حتى عظمت قيمته عند الناس ، واحتلت محبته للقلوب ، وشملت هيبته للمجالس ، يصوم النهار ويقوم الليل بحيث قد كان أما منكبا على كتاب ينسخه أو في هالة من تلاميذه يحلل المسائل ويشرح القضايا والأحكام ، أو تراه في حلقة من حلقات مريديه وقد تجرد من ماديته وصفت نفسه في معرفة الخالق ، وما أوجد من كائنات فاذا هو في مجلس من مجالسه الصوفية يلقي درسا في الوعظ والإرشاد ثم يندفع مع جلاسه في الذكر والإنشاد على طريقته فلا تسمع إلاّ آيات التمجيد للفرد الصمد أو التفنن في مدح محمد صلى الله عليه وسلم في وجد المحبين الصادقين .

ومما يدل على قوّة إيمانه وشدة إعتقاده ما أصابه من قائد صفاقس عطية بن عطية واذنابه من محن وخطوب جعلته يتقبلها بصبر وثبات مما زاد صيته إنتشارا ومقامه عظمة .

وصادف أن جازى الله هذا القائد الظالم الجزاء العادل بعد حادثة الكراي بخمسة أيام فسمي أبا الحسن الخموسي .

قد كان الشيخ أبو الحسن الكراي معتنقا المبادئ الصوفية المتعمقة في حب الله ورسوله على طريق جده شيخ الطريقة الوفائية .

وقد تعمق في صوفيته واختص بنظم أكثر من خمسين موشحة في طريق القوم تزيد مريديه انجذابا وتجردا .

وموشحاته منظومة بلغة سهلة بسيطة بين العربية والشعبية الدارجة مما جعلها حيّة مفهومة على مرّ الأجيال وما زال الناس يعتنون بها إلى اليوم .

وقد طرق فيها أبوابا عديدة من المدح والتفنن في الوصف والتضرع للخالق في خشوع والتوسل للمصطفى صلى الله عليه وسلم والشوق المفعم بالتحنان إلى الكعبة بيت الله الحرام .

وكان ينشدها مع أصحابه منغمة بالتغنّي والترنم على طريق الفن الأندلسي العتيق المعروف بالمالوف . لكن بدون آلة موسيقية سواء كانت وترية أو غيرها . وما بقي بين أيدينا من هذه الموشحات كان له فضل عظيم في حفظ نوبات المالوف وطبوعه ، وسار على منهاجها وأسلوب نظمها بعض تلاميذه فنظموا موشحات عديدة جمع جلها مع ما بقي من موشحات الشيخ أبي الحسن في سفر أطلق عليه ديوان سيدي بلحسن .

وممن انتهج طريقه الحاج محمد المراكشي وأحمد الشرفي والفرياني وغيرهم.

ونظرا لما كان من خلاف بين الفقهاء في الغناء والترنم بالصوت أو ما يعبر عنه بالسماع كان الشيخ أبو الحسن يرى أن السماع مباح ما دام لم تدخل عليه البدع لأنه من وحي الطبيعة ولا تعارض بين الطبيعة والشريعة وضمن رايه هذا في أول موشحة من موشحاته اذ قال :

انْ سالتَ عنِ السماعِ اباحه أهلُ الشريعَهْ
لم يكن فيه بداعٍ وله حال رفيعهْ
ووجْده فيه اتساعٍ سالما عن القطيعهْ
صادقا في الوعْدِ راعِي للشريعة والطبيعَهْ

وتلمس في موشحاته الموجودة بعض الوان المجتمع الصفاقسي في عهده وما كان له تأثير فعال على السكان مثل الجفاف وقلة الأمطار ومن ذلك قوله :

باسم المهيمن ابتدي هذا النظامْ لعـل يـرْحمْنـا
بحق طـه المصطفى البدر التمامْ يا مالـكي غثنـا
عطشت الأمـة اكبـارْ واصغارْ يـا خالقـي فـارحمْ
بـوابل يحيي الأراضـي والثمارْ والوحْشْ ثم النعمْ
والـورد والنسرين والـوان النوارْ في ظهـور الأكـم

أو يقـول :

أرحمنا يا رحمـانْ بجـودك اسقينـا
بالهـاشمي العدنـان يا مالـكي غثنـا
مـن شـدة الازمـة نفـوسنـا ضـاقـت
يـا واسـع الـرحمة قلـوبنـا ذابـت
فـرج على الأمـة لغيثـك اشتاقـت

كذلك كانت موشحات أبي الحسن الكراي التي ما زال الشيخ بودية والحاج محمد بركية وغيرهم يتغنون بها في مجالسه بهذا العهد .

وكانت له أيضا وظيفة كان ارسلها إلى مصر وشرحها الشيخ عبد الوهاب الأزهري المصري ومدح صاحبها الكراى بقصيدة شعرية أرسلها له مع الشرح المذكـور .

وعاش المترجم له نحو 79 سنة حيث كانت وفاته سنة 1105 هـ ودفن بمسجده بصفاقس داخل روضة تقع على يسار الداخل وعلى الجدار الجنوبي داخل الروضة لوحة رخامية نقش عليها اسمه وتاريخ وفاته .

ويبدو أنه ترك مؤلفات إنما الذي وصلنا من أسمائها يدل على ان جلها في التصوف والمتصوفة مثل كتابه :

كتاب المورد العذب الزلال في مناقب جده أبي بغيلة .

أو كتاب :

المواهب الفاخرات واليواقيت النيرات على أصل نفائس الخمرات والنجوم الزاهرات الخ...

ومسجده المذكور في أول هذا البحث هو بناء عظيم رائع بما حواه من الوان الفن المعماري ويقع بساحة بربروس وسط نهج سمي باسم الشيخ .

ويتركب من سقيفة بها روضة الشيخ وتنتهي بالداخل إلى صحن رحب بصدره بيت الصلاة المزخرفة الواجهة بآيات قرآنية وأزهار منوعة كلها منقوشة على الكذال الصافي وجاء بلوحة من كذال اثبتت بالرواق على جداره الجنوبي :

البسملة والصلعمة ثم ،

" هذا المقام المبارك بناه المعلم محمد بن المرحوم المعلم أحمد بن المعلم الحاج علي المنيف عام اثنين وثمانين والف 1082 هـ أي في حياة الشيخ رحمه الله . "

وما زال مسجده إلى اليوم ، كثير الحركة والنشاط في جميع أوقات الصلوات وفي المواسم والأعياد وبعد ظهر كل يوم جمعة ينتصب به مجلس الوعظ والذكر والإنشاد حسبما كان في زمن الشيخ أبي الحسن رحمه الله .

ابو بكر عبد الكافي

أحلى من ألف سماء

شعر : محمد مصمولي

« الى ذات الملامح الصباحية : آمال »

أنا من مواليد لقاء
ولدتني حبيبتي ذات مساء
من عيون أحلى من ألف سماء
وقبل انحناءة خطّ الضوء
كنتُ مصلوب الاهداب ، خلف الشمس
أحيا بلا غد ،
بلا عمق ،
بلا مدى
حياتي بلا حياه
أحيا مفتوح العين
وأعماقي تبحث عني .
أحيا كالمشنوق بلا حبل
أحيا بلا صبح ،
بلا أفق
مثل أهل الكهف ،
في منطقة الصمت والنّسيان ....
الزمن يغلي في عروقي مع دمي ،
وأنا مثل حائط بليد
أعيش ... بلا زمن ، بلا سؤال .

⁖

أنا من مواليد لقاء

لم تلدنِي والدتي
لم أر الفجر يولد مع أيامي ، وينمو معي...
لكن ولدتني حبيبتي
من عيون
أحلى من ألف سماء
لدى انحناءة خط الضوء
ولدتُ فولد النّهار معي
لم أسر
لم أزحف
لم أسبح
بل أصبح الكون يحيا بين قلبي وبين جوانحي

*

ولدتني حبيبتي
لدى انحناءة خط الضوء
من عيون
أحلى من ألف سماء
وقبل مولدي
كانت أقدامي تنزلق مع الريح
والريح عنّي هاربة ...
وكانت أحداقي مستمرّة بالضباب .
السراب مضجعي ،
والنسيانُ غطائي ...
ثم كان اللقاء ..
فمولدي ..
فانبثاق الحياة من غباري التّافه

من أطلال هذا الامس الذي
كنت فيه بقايا البقايا
من العدم المجلجل الصخاب
ولدتُ ...
فاذا بجذوري تتمطّى في شكل سؤال ،
مع أشواق الارض
تسأل عني
عن مصيري
عن حياتي التي نسجتها عيون الحبيب .
من الضوء
والاحلام
واسرار المجهول ..

ولدتني حبيبتي
من عيون
أحلى من ألف سماء

فإذا بي
أحنّ إلى الكلام
وإذا بالكلام
يسيل من أضلعي ..
أحنّ إلى الالفاظ
وإذا بالالفاظ بعض عروقي وعرقي ودخاني ...
ثمّ أفكّر ... أفكّر
وإذا بأفكاري بعض ما أجهل وأعلم ،
بعض ما أذكر وما أتلفته الذّاكرة ...
وإذا بالافكار بعضُ حصاد الحياة في جوهري ...

محمد مصمولي

مقدمة في الشعر الملحون

بقلم : عبد المجيد بنجدو

- 11 -

الشعر العربي ثلاثة اشياء : حشو ، وضرب ، وعروض ، وكل هذه الاشياء تتولد عن حركة حادة وأخرى غير حادة ، فالحركة الحادة تنتهي بسكون ، والسكون سكونان : سكون حيّ وآخر ميت ، والسكونان في الشعر العربي يتحدان في المسافة الصوتية.

الحركة المطلقة ، أو غير الحادة ، فهي الحركة المقطوعة التي تنفصل في المد الصوتي عن نهايتها .

فالحركة الحادة خط صوتي كامل يقع بين نقطتي البداية والنهاية بداية وانتهاء.

اما الحركة المطلقة فهي خط صوتي ينطلق من نقطة البداية وينتهي قبل الوصول الى نقطة النهاية . واذا كانت الحركة الحادة تستقل بذاتها ، وتؤلف مفردا ايقاعيا فالحركة المطلقة ، وان تعددت ، فهي لا تستقل بذاتها ولا تؤلف مفردا ايقاعيا ، وهي بحكم قطعها لا يمكن ان تستقر الا حول الحركة الحادة ، التي هي النواة الطبيعية في الصوت ، والحركة المطلقة لا يمكن ان تستقل بذاتها بتاتا .

وهذا ما دعاني الى نكران السبب الثقيل والوتد المفروق ، فالسبب الثقيل حركتان مطلقتان. والحركتان المطلقتان لا تؤلفان مفردا ايقاعيا ، والوتد المفروق يجعل من الحركة المطلقة اصلا ومفردا ايقاعيا يستقل بذاته ، ويعطي الحركة المطلقة ما ليس لها فيجعلها أصلا ومدارا يدور حوله الحركة المقيدة الكاملة .

ولتوطيد هذه النظرية التي كنت شرحتها في رسائلي الماضية(1) ، رأيت من اللازم ارجاع هذه الحركات المطلقة إلى أصولها الاولى . ومن المسلم به جدلا هو ان كل حرف له مد صوتي ، فأنت إذا قلت (لَمْ) مثلا

---

(1) راجع الفكر السنة 10 - والاعداد 2 - 4 - 5 - 10 السنة 11

فالميم في (لَمْ) لم تكن سوى نقطة النهاية في مسافة الصوت . أما إذ قلت مثلاً : (هنا) فالمد الصوتي لم يتوفر الا في النون المشبعة في (هنا) أما الهاء فانها مسافة مقطوعة لا يمكن بتاتا ان تستقل بذاتها ، فالهاء قطعت وانتزع منها مدها الصوتي الذي هو اشباع الضمة بالواو (هو) ولك ان تأخذ ما شئت من الامثلة في اية كلمة أحْبَبْتُ ، خذ لك مثلا هذه الكلمة : (قالت) وضعها إلى جانب (ذَهَبَتْ) فانك واجد في قالت مسافتين ايقاعيتين كاملتين وهما (قَا) ثم (لتْ) بينما كلمةُ : (ذَهَبَتْ) لم يكن بها الا مفرد إيقاعي واحد ، او بالاحرى مسافة ايقاعية واحدة ، هي (بَتْ) اما حركتا الذال والهاء في (ذَهَ) فانها لا تمثل مفردا ايقاعيا في ذاتها ، بل تمثّلُ هذا المفرد الايقاعي باضافتها الى (بَتْ) ولهذا كانت مسافة هذه الكلمة مسافة واحدة يطلق عليها هذا الاسم وهو الفاصلة الصغرى . نعم ان هذه الفاصلة الصغرى نستطيع ان نعدها مفردا إيقاعيا مركبا ، لانّه ليس في مستوى السبب الخفيف من حيث طول مسافته الايقاعية ، ولكنه رغم طوله لا يمثل مفرديْن ايقاعيين لانّه من المفروض في المفرد الايقاعي أن يكون له طول بين نقطتي البداية والنهاية ، وأنصاف المسافات إذا جمعت إلى بعضها لا تساوي مسافة مهما تعددت بل تساوي ثقلا ، وقلقلة في الصوت . وقانون الكلمات من حيث اطوالها الصوتية ، لا ينطبق على الكلمات المستعملة في الشعر ، بل ان ذلك يتجاوز الشعر إلى النثر ، وسوف اتحدث عن قانون الجملة العربية وقانون الكلمة العربية في غير هذا الموضع ، عندما اتحدث على أطوال الصوت في النثر ، لأن النثر كالشعر كان يجب أن يوجد له ، قانون تضبط به خفة الجملة ، وحسن صياغتها – لا من حيث هي لفظ ومعنى فان ذلك من خصائص البلاغة والبيان – بل من حيث خفة الحركة وثقلها. فانت عندما تسْتعمل كلمة تتعدد فيها الحركية إلى ما فوق الاربعة تحس بثقل في اللسان وبخروج عن السليقة ، فانت تلفظ هذه الكلمة مثلا : بِكَبْكَبَاتِك تحس بهذا الثقل الذي لم يكن منشأه تنافر الحروف بل تعدد الحركات إلى ما فوق الاربع حركات ، وهذا مبحث آخر له مقتضياته ، المستمدّة من طبع اللغة العربية : يأتي الحديث فيه في باب آخر من أبواب هذا البحث ان شاء الله . ولنعد إلى طريقة استنباط الاسباب الثقيلة بارجاع الفواصل الصغرى والكبرى إلى اصولها في الجمل الايقاعية .

والجمل الايقاعية كما ضبطها الخليل عشرة : اربعة اصول وستة فروع ، وقد كنا تعرضنا لها في رسائلنا الماضية .

أما الاربعة الاصول فهي التي تبدأ بأوتاد مجموعة كانت أو مفروقة والستة الفروع هي التي تبدأ باسباب ثقيلة كانت أو خفيفة . وهي حسب تركيب العروضيين هذه ، وابدأ بالاربعة الاصول .

أ ــ فعولن : (ــ ــ 0) + (ــ 0) = (ــ ــ 0 ــ 0)
ب ــ مفاعيلن : (ــ ــ 0) + (ــ 0) + (ــ 0) = (ــ ــ 0 ــ 0 ــ 0)
ج ــ مفاعلتن : (ــ ــ 0) + (ــ ــ) + (ــ 0) = (ــ ــ 0 ــ ــ ــ 0)
د ــ فاع لاتن : (ــ 0 ــ) + (ــ 0) + (ــ 0) = (ــ 0 ــ ــ 0 ــ 0)

أما الفروع فهي متولدة عن هذه الجمل الاربعة وناتجة عن قلب هذه الجمل طردا وعكسا .

1 ــ فيتفرع على فعولن (ــ ــ 0) + (ــ 0) = (ــ ــ 0 ــ 0) ، فاعلن (ــ 0) + (ــ ــ 0) = (ــ 0 ــ ــ 0).

فالجملتان الاصلية والفرعية مؤلفتان من وتد مجموع وسبب خفيف طردا وعكسا .

2 ــ وعن مفاعيلن (ــ ــ 0) + (ــ 0) + (ــ 0) = (ــ ــ 0 ــ 0 ــ 0)
فاعلاتن (ــ 0) + (ــ ــ 0) + (ــ 0) = (ــ 0 ــ ــ 0 ــ 0)
ومستفعلن (ــ 0) + (ــ 0) + (ــ ــ 0) = (ــ 0 ــ 0 ــ ــ 0)

الجملتان الفرعيتان كالجملة الاصلية مؤلفتان من وتد مجموع وسببين خفيفين .

3 ــ وعن مفاعلتن (ــ ــ 0) + (ــ ــ) + (ــ 0) = (ــ ــ 0 ــ ــ ــ 0)
متفاعلن (ــ ــ) + (ــ 0) + (ــ ــ 0) = (ــ ــ ــ 0 ــ ــ 0)
4 ــ وعن فاع لاتن (ــ 0 ــ) + (ــ 0) + (ــ 0) = (ــ 0 ــ ــ 0 ــ 0)
مفعولات (ــ 0) + (ــ 0) + (ــ 0 ــ) = (ــ 0 ــ 0 ــ 0 ــ)
مُسْتفع لن (ــ 0) + (ــ 0 ــ) + (ــ 0) = (ــ 0 ــ 0 ــ ــ 0)
فيكون مجموع التفعيلات عشرة حسب ما ذهب إليه العروضيون.

وقد كنا أبدينا الرأي في هذه الجمل الايقاعية ، وبينا أن تركيزها على السبب الثقيل والوتد المفروق باعتبارهما مفردين ايقاعيين يعد لغوا لانه لا وجود لهذين المفردين الايقاعيين في طبع اللغة العربية ، فاللغة العربية لها طبع ومزاج يميزها عن كثير من اللغات وهذا الطبع هو عدم وقوفها على متحرك .

والسبب الثقيل والوتد المفروق يقفان على متحرك ، ولهذا عددتهما مفردين افتراضيين لا موجب لافتراضهما ، ويترتب عن الغائهما تحوير كامل في علم العروض ، يبسط هذا العلم وينزع منه التعقيد ، وقد كنت شرحت ذلك وبينته في الرسائل الماضية .

وفي هذا البحث نريد ان نربط بين هذه التفعيلات العشرة وبين الروح الشعرية ذاتها ، لان النظرة المجرّدة الى هذه التفعيلات لا تكون نظرة كاملة الى فقه الايقاع الشعري .

ونبدأ من هذه الجمل بالجملة الاولى التي هي : فعو لن ، (ـــ 0 ـــ 0) ونصور منها بيتا شعريا فنقول :

أتته الخلافه منقادة
إليه تجرر أذْيَالهَا

فلم تك تصلح الاله
ولم يك يصلح الالها

فعندما نُقَطّعُ البيت الثاني من هذا المثال : نجد فاصلة صغرى وهي (تَكُ تَصْ) (لُحُ إلْ) ففي الفقرة الاولى حركات ثلاث وسكون وفي الفقرة الثانية مثل ذلك ، ونحن نعلم ان الجملة الايقاعيّة في المتقارب تتركّب من مفردين اقاعيين هما الوتد المجموع (ـــ ـــ 0) والسبب الخفيف (ـــ 0) = فعو لن .

فمن أين هذه الفاصلة الصغرى ؟

الجواب أن الفاصلة الصغرى هنا مركبة من سبب خفيف مقبوض. اى حذف ساكنه ، ومن وتد مجموع — ومثال السبب الخفيف المقبوض (— — 0) (—) + (— — 0) = (— — — 0) فنحن نرى ان الفاصلة الصغرى هنا كانت من سبب مقبوض ووتد مجموع فكيف ندعى بعد هذا أن الفاصلة الصغرى مركبة ، من سببين : ثقيل وخفيف.

ومن المعلوم أن قبض فعولن في المتقارب جائز ، والجملة الايقاعية في هذا البحر لها وجهان — الاول فعولن فعولن فعولن والثاني فعول فعول فعول فعول .

.ويجوز أن يتركب من التفعيلتين المقبوضة وهو فعول وغير المقبوضة وهي فعو لن . وكذلك الامر في البحر الطويل — يجوز قبض فعو لن وهذه صورته (— — 0 —) + (— — 0 — 0 — 0)=(— — 0[— — —0]—0—0).

التفعيلة الثانية المتولدة عن فعولن وهي فا علن .
(تحت «عو» 1 ، تحت «لن» 2 ، تحت «فا» 2 ، تحت «علن» 1)

فعندما نخبن فا علن أي نزيل ساكن السبب الخفيف تصبح فَعِلُنْ أي تصبح فاصلة صغرى وهذه صورة التحويل .

قبل الخبن فا علن (— 0) + (— — 0) = (— 0 — — 0)

بعد الخبن (—) + (— — 0) = (— — — 0)

الجملة الايقاعية الثانية — مفاعيلن (— — 0) + (— 0) + (— 0) = (— — 0 — 0 — 0)

نجد هذه الجملة في الهزج تقلب إلى مفا .علتن (— — 0) + (— — — 0) = (— — 0 — — — 0) . ومفاعلتن تقلب في الوافر . بعد اجراء عملية العصب وهو تسكين المتحرك الخامس . مفاعيلن .

اذن فالفاصلة الصغرى في مفا علتن (— — 0 [— — — 0]) مقلوبة عن (— — 0 [— 0 — 0]) فاصلها هنا سببان خفيفان — فاين هذا السبب الثقيل الذي يتحدث عنه الخليل في البيت الشعري؟ اننا لانكاد نجده.

ونشأ هذا الاستنتاج عن مقابلة الجملة الايقاعية بالجملة الايقاعية الثالثة مفاعيلن بمفاعلتن .

اما الجملة الايقاعية الرابعة التي تبدأ بوتد مفروق : فهي جملة افتراضية لا تصلح لتوليد فاصلة صغرى حسب زعم العروضيين . ولكننا عندما نعتبرها جملة مبدوءة بسبب خفيف نولد منها فاصلة صغرى (—0—) + (—0) + (—0) = (—0—0——0—0)
(—0) + (——0) + (—0) = (——0——0—0)

ويكون ذلك بخبن السبب الخفيف الاول وهذه هي صورة التحويل (—) + (——0) + (—0) = (———0—0) ونجد هذا الخبن في الرمل وفي الخفيف = فيجوز فيه فعلاتن .

الرمل : فعلاتن فعلاتن فعلاتن

الخفيف : فعلاتن مستفعلن فعلاتن

وهكذا ترى مرة أخرى أن الفاصلة الصغرى مركبة من سبب خفيف مخبون ووتد مجموع .

اما مفعولات هذه الجملة الايقاعية الفرعية الثانية فتنشأ الفاصلة الصغرى فيها بعد خبنها وطيها والخبن حذف ساكن السبب الخفيف الاول والطى حذف ساكن السبب الخفيف الثاني وهذه صورة الخبن والطى

قبل الخبن والطى — مفعولات (—0) + (—0) + (—0—) = (—0—0—0—)

بعد الخبن والطي — معـلات (—) + (—) + (—0—) = (———0—)

امّا الفاصلة الكبرى التي يقول عنها العروضيون انها هي مجموع السبب الثقيل والوتد المجموع — فهي ليست كذلك . واليك طريقة توليدها من مستفعلن .

فأنت اذا خبنت وطويت مستفعلن تولدت لك من هذا فاصلة كبرى :

مسفعلن قبل الخبن والطى (ــ 0) + (ــ 0) + (ــ ــ 0) = (ــ 0 ــ 0 ــ ــ 0)

مستفعان بعد الخبن والطى (ــ) + (ــ) + (ــ ــ 0) = (ــ ــ ــ ــ 0)

وكذلك ترى ايها المتتبع ان الفاصلة الكبرى لم تتولد من السبب الثقيل كما يدعى العروضيون بل هي ناشئة عن خبن وطي مستفعلن واضافة هذين السببين الخفيفين الى وتد مجموع .

وهكذا أكون قد بينت ان الوتد المفروق والسبب الثقيل لا وجود لهما في الشعر العربي اطلاقا بعد أن ارجعت الفاصلتين الصغرى والكبرى الى اصولهما . واتخذت شاهدا على ذلك الزحافات الجائزة والمستحسنة احيانا في البحور التي ذكرتها وكنت وضحت رائي فيما يتعلق بالوتد المفروق في الرسائل الماضية بان الحركة الاخيرة في الوتد المفروق (ــ 0 ــ) عندما تكون في حشو البيت تضاف الى غيرها فتكون وتدا مجموعا أو احدى الفاصلتين الصغرى والكبرى اما اذا كانت في عروض البيت او في ضربه فإنّها تشبع واذا أشبعت هذه الحركة كانت سببا خفيفا.

والامر الذي حدا العروضيين الى اقرار هذا الوتد المفروق هو تبرير مفعولات (ــ 0 ــ 0 ــ 0 ــ) هذه التفعيلة التي تنتهي بوتد مفروق.

وكان أولى بالعروضيين ان يستبدلوا هذه التفعيلة بتفعيلة أخرى وهو أمر ميســور .

اما الوتد المفروق الذي تتضمنه هاتان التفعيلتان وهما أولا (ــ0ــ) (ــ 0)

فا ع لا تن مس تفع لن

(ــ 0) = (ــ 0 ــ ــ 0ــ0) وثانيا (ــ 0) (ــ 0ــ) (ــ 0) = (ــ 0 ــ 0 ــ ــ0)

فهو وتد مفترض لا قيمة له ولا داعي لافتراضه . اللهم الا فيما يتعلق بالزحافات والعلل فانها في هذه الصورة تبدل اسماؤها وتتعدّد وهو عمل اصطلاحي شكلي لا صلة له بجوهر الاوزان .

هذا بحث مجمل يتعلق بالاوزان العربية ، وبمقاطع البيت في الشعر العربي .

اما القوافي ففيها إطالة وتكرار تدعوان الى اختصار القول فيها حتى يسهل اخذها على المتعلم ففي القوافي سبعة مباحث هي هذه :

المبحث الاول ـ وقد كنا قدمناه في الرسالة الماضية وهو تحديد مسافات القافية الصوتية وضبطها بالمقاطع ـ والمقاطع هنا خمسة المقطع الاول الفاصلة الكبرى وتسمى :

1. ـ المتكاوس : (ـ ـ ـ ـ 0) مع اعتبار الساكن قبله (ـ 0) (ـ ـ ـ ـ 0) .

2. ـ المتراكب : (ـ ـ ـ 0) مع اعتبار الساكن قبله (ـ 0) (ـ ـ ـ 0) ، وهو لا يعدو الفاصلة الصغرى .

3. ـ الوتد المجموع ويسمى المتدارك : (ـ ـ 0) مع اعتبار الساكن قبله (ـ 0) + (ـ ـ 0) = (ـ 0 ـ ـ 0).

4. ـ والمتواتر وهو سبب خفيف (ـ 0) مع اعتبار الساكن قبله (ـ 0) + (ـ 0) = (ـ 0 ـ 0) .

5. ـ المترادف وهما سكونان لا يسبقهما ساكن ومثاله (0 0) مع اعتبار الحركة قبله (ـ 0 0) كقولك (عادْ) دون اعتبار الساكن قبله

المبحث الثاني في نوعية القافية :

والقافية نوعان : مطلقة ومقيدة

أ ـ القافية المطلقة :

ألف التأسيس ← دخيل ← روى ← وصل ←

1) ـ مؤسسة موصولة بمد مثالها : صادق وصورتها (ـ 0 ـ ـ 0)

2) ـ مؤسسة موصولة بهاء مثالها : قائلُهَا وصورتها (ـ 0 ـ ـ ـ 0)

← دخيل ← روى ← هاء الوصل ← خروج

وصل روي ردف المد

ردف المــد : 3 مردوفة موصولة بمدّ (ــ 0 ــ 0) سَادُو أي ســادوا

ردف اللين : 4 مردوفة موصولة بليــن (ــ 0 ــ 0) عَيْنُو أي عَيْنُ

وصل روي ردف اللين

ردف المــد : 5 مردوفة موصولة بهاء (ــ 0 ــ ــ 0) زاده

خروج وصل روي ردف المد

والشبه بين ردف المد الموصول بهاء متحرك ، وألف التأسيس كبير، فلكأن هذه الألف تصلح ان تكون مدّاً وتأسيسا

خروج وصل روي ردف اللين

ردف اللين : 6 مردوفة موصولة بهاء) ــ 0 ــ ــ 0) عَيْنُــهُ

وصل روي

7. ــ مجردة عن الردف والتاسيس (ــ ــ ــ 0) عَـلَــمُ

وتكون في المتراكب، والمتكاوس والمتدارك والمتواتر إلا المترادف فهو خاصّ بالقوافي المقيـدة .

اما حروف القافيـة فهي ستـة :

– الروى : هو حرف القافية ، اما حركته فتسمى المجرى وهي التي يدخلها الاقواء والاصراف .

– الوصل : هو مد المجرى

– الخروج : مدهـاء الوصـل

– الردف : (ردف المد) هو مد للحرف قبله

– الردف : (ردف اللين) سكون حي يقع على حرف اللين

– التأسيس : مد للحرف قبله ، اي مد للرس الذي هو الحركة التي تسبق ألف التأسيس .

– الدخيـل : حركة بعد التأسيس وقبل الروى .

فكل هذه الاسمـاء انما وضعت لحركات ، او لمد حركات ماعدا ، الروى ، فهو اسم لحرف ، ولكن العروضيين يقولون إن هذه الاسماء انما هي اسماء لحروف القافيـة وهي ليست كذلك ، الا الدخيل فانه يمكن ان يكون حرفا وحركة في الوقت نفسـه .
يكون حرفا في لـزوم مالا يلزم ، اي عندما يلتزم الشاعر في روية حرفين الروى والدخيل اما في ماعدا هذا فالدخيل حركة . وهكذا تكون هذه الاسماء تكرارا مع اسماء حركات القافيـة وهي الآتيـة :

الرسّ : الحركة التي تسبق ألف التأسيس

الاشباع : حركة الدخيـل

الحـذو : الحركة التي تسبق ردفي المد واللين .

التوجية : حركة ما قبل الروى المقيد

المجرى : حركة الروى المطلق

النّفاذ : حركة هاء الوصل

ونحن نلاحظ هنا أن الحذو هو حركة المد في ردف المد ، بينما الحذو في ردف اللين يعقبه سكون حي، وليس مدًّا لحركة تسبقه فعيْن مثلا في مستوى قَدْر ، وذهن ، وصبْر ، والفارقُ بين هذا وذاك ان الساكن في عيْن حرف لين والساكن في صبر وقدر وذهن حرف صحيح وعيوب القافية خمسة انواع .

نوع يتعلق ببناء الضرب

ونوع يتعلق بحركاته

ونوع يتعلق باللفظ

ونوع يتعلق بالمعنى

ونوع يتعلق بالحروف

العيوب التي تعلق ببناء الضرب

أولا : سناد الردف وهو ان يختلف الردف في أبْيات القصيدة الواحدة فتكون بعض أبياتها مردفة وأخرى غير مردفة .

ومثال ذلك هذا البيت الذي اورده علماء العروض :

اذا كنت في حاجة مرسلا   فأرسل حكيما ولا توصه

وان باب أمر عليك النوى   فشاور لبيبا ولا تعصه

فكلمة توصه في البيت مردفه ، وكلمة تعصه غير مردفه ،

وكذلك لا يجتمع ردف المد وردف اللين فلا يجوز في قصيد واحد ان يكون بيت مردفا ردف لين وآخر مردفا ردف مد ، فلا تقول في قافية بيت (عيْن) بتسكين الياء تسكينا حيا (ودين) بتسكين الياء سكونا ميتا . ويجوز في ردف المد الجمع بين الواو والياء أو بين الكسرة والضمة كما في قول السموأل :

اذا سيد منا خلا قام سيد   قؤول بما قال الكرام فعول

وما أخمدت نارلنا دون طارق   ولا ذمنا في النازلين نزيل

وكذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

فانّه قال في بعض ابياتها :

إذا وضعت عن الابطال يوما

رأيت لها جلود القوم جونا

ومن العيوب التي تتعلق ببناء القافية :

سناد التأسيس : فلا يجوز في القصيدة الواحدة ان يكون بيت مؤسسا وآخر غير مؤسس . فلا يجوز ان تقول في قافية بيت سادوا وفي البيت الموالي من القصيدة ذاتها مدّوا

اما النّوع الذي يتعلق بحركات القافية فهو .

اولا : سناد الاشباع ، وسناد الاشباع هو اختلاف حركة الدخيل والدخيل هو الحرف الذي يقع بين ألف التأسيس والروى .

فلا يجوز ان يكون دخيل بيت : قاصد بكسر الصاد ودخيل البيت الاخر في القصيدة ذاتها تباعدوا بفتح العين .

ثانيا سناد الحذو :

وسناد الحذو هو اختلاف حركة الحرف الذي يسبق حرف الروى في غير القافية المؤسسة اي في القافية المطلقة . مثال ذلك ذهبوا بهاء منصوبة في بيت وعجبوا بجيم مكسورة في بيت آخر .

ثالثا : سناد التوجيه

سناد التوجيه ، هو اختلاف الحركة في الحرف الذي يسبق الروى لكنه يختص بالروى المقيد .

والفارق بينه وبين سناد الحذو
هو ان سناد الحذو خاصّ بالقافية المطلقة اى المتحركة
وسناد التوجيه خاص بالقافية المقيدة اى الساكنة

رابعا : الاقواء وهو خاص بحركة الروى اي بالمجرى وهو ان تختلف حركة المجرى في ابيـات قصيد واحد بحركتين مختلفتين متقاربتين كالكسرة والضمـة .

خامسا : الاصـراف :

والاصراف : هو ان تتغاير المجرى بحركتين متباعدتين كالفتحة والضمة أوكالفتحة والكسرة .

العيب الذي يتعلق بالحروف ، فهو الاكفاء والاجـازة
الاكفاء : ان تتقارب حروف الروى في المخرج .

كان يكون روى بيت صادا وروى البيت الآخر من القصيدة زايـا أو سينـا .

الاجازة : ان تتباعد حروف الروى في المخـرج .
كـأن تكون قافية بيت عينا وقافية البيت الموالية بـاء .
فالعين والباء متباعدتان في مخرج الحـروف .

العيب الذي يتعلق باللفظ :
الايطـاء : وهو اعادة كلمة القافية بلفظها ومعناهـا في القصيد الواحد ، ويجيزون هذه الاعادة بعد سبعة ابيـات .

العيب الذي يتعلق بالمعنـى :
التضميـن .

والتضمين هو ان لا يستقل البيت بمعناه ، ولا ينتهي معنى البيت في كلمة القافية مثل :

وهم وردوا الجفار على تميـم
وهم اصحاب يوم عكاظ انى ...
... شهدت لهم مواطن صادقات
شهدن لهم بصدق الود منى

هذا هو البيت العربي من حيث حشوة ، وعروضه ، وضربه ، ومقاطيعه ، وقد بينا ذلك باجمال في البــاب الاول من هــذه المقدمة وكان ذلك لضرورة مقابلة هذا الشعر العربي بالشعر الشعبي في تونس ذلك الشعر الذي يحسبه بعض النقــاد شعراً عربيــا وهو ليس من ذلك من شيء ، كما كنا اشرنا إلى ذلك في الرسالة الاولى من هذه المقدمة .

وفي الرسالة القادمة ، نشرع في البـاب الثاني من هـذه المقدمة وهو الباب الذي سنخصصه لدراسة المقطع في الشعر الشعبي وتبويب بحوره ووضع اسم لكل بحر منهـا ، مع اعطــاء امثلة لكل وزن من هـذه الاوزان ولكل مقطع من تلك المقاطع .

ونرجو ان نكون بذلك قدمنا عملا يتوفر فيه البحث العلمي، والدراسة المنهجيـــة ، التي تعتمد الحس الشعري ، والاستقراء والتتبع .

عبد المجيد بنجدو

قبلتان

شعر : جعفر ماجد

بِنْتُ عَشْرٍ وَثَمَانٍ   ذَاتُ قَدٍّ الخَيْزُرَانِ
وَحْدَهَا فِي البَيْتِ كَانَتْ   وَأنَا فِي البَيْتِ ثَانِ
هَلْ أنَا أمْشِي إلَيْهَا ؟   أمْ سَأبْقَى فِي مَكَانِي ؟
وَإذَا أغْمَضْتُ عَيْنِي   أتُرَاهَا لاَ تَرَانِي ؟
قَدْ فَهِمْنَا كُلَّ شَيْءٍ   غَيْرَ أنَّا سَاكِتَانِ ...

* * *

كَشَفَتْ خَدًّا وَخَدٌّ   خَافَ مِنِّي فَاتَّقَانِي
شَعْرُهَا يَغْفُو عَلَيْهِ   مِثْلَ ذَوْبِ الأُرْجُوَانِ
فَمُهَا مَاذَا عَلَيْهِ   جَمْرَةٌ أمْ جَمْرَتَانِ ؟
فِي شَذَا قُفَّازَتَيْهَا   خُبِّئَتْ تُفَّاحَتَانِ
وَقُطُوفٌ دَانِيَاتٌ   تَتَشَهَّى كَفَّ جَانِ
إنْ أنَا أغْمَضْتُ عَيْنِي   أتُرَاهَا لاَ تَرَانِي ؟

* * *

نَظَرَتْ نَحْوِي طَوِيلا   نَظْرَةً فِيهَا مَعَانِ
وَارْتَخَى جَفْنٌ خَجُولُ   ثُمَّ قَالَتْ فِي حَنَانٍ :
"كَمْ يَكُونُ الآنَ عُمْرِي؟"   قُلْتُ: "كَمْ أجْرُ امتِحَانِي؟"
فَأجَابَتْ بَعْدَ صَمْتٍ:   "نَسِكَ عَنْهُ :
... قُبْلَتَانِ ..

جعفر ماجد

باريس ــ أفريل 1965

شجرة اليقين

قصة : بقلم : سالم دمدوم

«..زَيْتُونَة لاَ شَرْقِيَّة وَلاَ غَرْبِية يكاد زَيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور... على نـــور... »

آخر عشية في أيام الصيف .. فؤاد وسامي يقفان على عتبة الدار بشرود .. يظهر وراءهما الحمار وعليه زنبيل فيدور بينهما الحوار .

فؤاد : — هل مازلت مصمما على الذهاب إليه ؟ أعني الذهاب إلى الكنز ؟.

سامي : — أجل.. لقد قر على ذلك الرأي ولا بد من هذه السفرة أيضا... هل جهزت الحمار ؟

فؤاد : —كذا أنت دوما يا سامي.. جواب آفاق من طراز أول .. لا هدوء ولا استقرار .. كذا أنت ..

سامي : — هذا طبعي.. جبلَّة في رُكبت ولاَ سَبيل إلى اجتثاثها... لَم يَبْقَ لِي إلاّ مجاراتها والا فأنا سائر يوما إلى الجنون! هَل الحمار جاهز ؟.

فؤاد : — ها أنت تراه !. الا تراه واقفا ؟ !

سامي : — أي .. نعم .. واقفا ومطمئنا .. إنّه لا شك يحبذ الرحيل.. أنظر إلى عينيه تسكبان دموعا .. هي ولا شك دموع الفرحة والشوق والابتهاج .

فؤاد : — هه.. دمـــوع الفرحة !؟ والشوق والابتهاج ؟! أهكذا تحقق لديك ؟. مسكين أنت. لكم تغرك الظواهر الكاذبة .. أنانيتك تجعلك تفسر كل الظواهر على هواك.. إني ياصاح "أحسه" يبكي.. يخيل إلي أنّه يحتج احتجاجا صامتا... الدموع احتجاج أخرس جاد !.. وهي تعقب ظلمة الاحزان كما يعقب الندى ظلام الليـل ...

سامي : — دَعْكَ من مشاعرك، وخيالاتكَ وَظَلامك .. إنّه جذلان قرير العين .. إنه يضحك .. لقد ملّ طول المكث وَسَئم الاستقرار في هذا الاصطبل السخيف، المملوء نهيقا، وشهيقا وَجلبة، وَضوضاء !. يقضم فيه القويّ الضعيفَ فيستأثر بعلفه. فيسطو بطريق غير مباشر على وجوده !. وَمن يستطيع الافلات من مكان كهذا، لا بد أن يكون من الفرحة في أقصاها ...

فؤاد : — قد يكون ذلك منه ضحكا، وقهقهة، ولكن اعتقادي أنّه إذا ضحك فإنما من سَخَافَاتنا ... وَمَعَ ذَلِكَ فَهَلْ تَرَى أن نتوكل على الله ونبدأ المسير ؟.

سامي : — فلنسر. الزمن لا ينتظر والشمس بدأت تلملم اذيالها .. ويجب أن نربح الوقت .. هل حَمَلْتَ عُدّتِي وَمَتَاعِي..

فؤاد : — عُدّتك ؟. متاعك ؟. مَاذَا تَعْنِي ؟!

سامي : — أعني عدة الحفر عن الكنز .. ألَسْنَا في رحلة بحثٍ عن الجواهر والكنوز ؟!.

فؤاد : — تعني ذلك الجاروف المتآكل .. وذلك المعول الصدىء.. حملتهما .. حملتهما ..

سامي : — أوَاثق أنت مِنْ ذَلك ؟ .. ألم تتركهما عن سبيل ... عن سبيلَ الغَفْلَةَ أعْنِي ..

فؤاد : — لاَ، لَمْ أنْسَ شَيْئا ... دعْكَ من هذه الشكوك ...

سامي : — وَمع ذلك فإني أشك .. يجب أن أوقف الحمار وأتحقق من ذلك ..
(يُوقف الحمار ويرفع الغطاء عن الزنبيل ثم يتحسس ويقول :)
هذا المعول.. وهذا .. الجاروف. حسنا، لقد حملتهما.. أشكرك، وأرجو المعذرة.

فؤاد : — هل ذهب عنك الشك الآن أم ما زلت منه في ريب.. مسكين أنْتَ لقد أفسد عقلك « ديكارتَ » ..

سامي : — لا أشكّ في وجودهما الآن .. لكن هَلْ لاَ يسقطان ؟.

فؤاد : — لن يجدا إلى السقوط سبيلا .. وعليك الآن أن تركب الحمار وَدَعْكَ من أمرهما..

سامي : — أترى الحمار يستطيع حملي.. إني أراه متثاقلا يسبل أذنيه من حين لآخر كأنما هو يعيش حوارنا فعلا ...

فؤاد : — جرِّب.. أركب وستعرف ما إذا كان بالامكان حملك ..

سامي : — فلاجرِّب. فالتجربة قد تساوى حتى حمار . أو لم يقل "جحا" إنها خير من جحش ؟!

(يركب الحمار ويقوده فؤاد ثم يواصلان السير ويتواصل الحوار..)

سامي : — أوَاثق أنتَ من الطريق ؟. احْذر أنْ نضلها فنسأم. ويكل الحمار ولا نعثر عن الكنز فيعاودنا القلق ، والحيرة ، والترحال ، والبحث ويضيع بذلك كل أمل في الاستقرار .

فؤاد : — اطمئن.. عَمِّرْ قلبك بافكاري وثق بي ولن يجد القلق إلى نفسك سبيلا.. كل الدروب التي أعرفها تؤدي إلى الاطمئنان على قصرها وقلتها .!

سامي : — لكن متى سنَصِلُ الكنزَ ؟. في أي ساعَةٍ ؟ وعلى بُعدكم ميل ؟ وكم يلزمنا من الوقت حتى الوصول ؟.

فؤاد : — قلبي يُحدِّثُني بقرب الوصول ... ولاَ مجال للضبط والحصر عندي .. فنحن على أبواب الصحراء . وفي الصحراء يموت الضبط والحصر.. هي صحراء وَكفى!.. امتداد هائل عريض طويل ..

سامي : — ولكن ألم تحدّثني ذات مرّة عن وَاحات سامقة النَّخيل وَجنَّات وَاعناب وعيون ثرّة وسحر رائع أخّاذ.؟ أمَا قلتَ أنَّهُ وراء هذه الصحراء ..

فؤاد : — أي.. نعم . كذا حُدِّثتُ وبه آمنتُ... ولعلنا إليها واصلون، وفيمَ السؤال ؟

فؤاد : — أي.. نعم. نعم. كذا وَبه آمنتَ .. ولعلنا إليها واصلون ، وفيمَ السؤالُ ؟

سامي : — كنت أظن أنَّها قريبة من هنا وَلنا فيها غَدا مقيل .. فالقرائن

والادلّة الفلكيّة تثبت لدى أن غدا يوم قائض ، كالح ، سعير . هذه الريح الجنوبية اللاّفحة وهذه النجوم اللاّمعة أدلة تثبت ما ذكرت ..

فؤاد : — قرائن . منطق . أدلة.. أحاديث تسوقها جزافا. ولست أدرى ما إذا كانت تنير لك الحقائق أم إنّها تطمسها أمام بصيرتك طمسا إنّك لولُوع بفلسفي الكلام وما أظن إلاّ أنّك من السفسطة «زَبُّنُونَهَا» ومَعَ ذَلك فماذا يهمني أنا من الغد القائض فغدا سأكون فوق حماري واستطيع أن أبني بُرْنُسي خيمة فوق رأسي رَكيزَتُها عَصاي هذه.. أمّا أنت فَغدا دوْرك في القيادة .. هذا زَمَانك ... وأرجو أن تكون خبيرا بمسالك الصحراء . فالكثبان كثيرة والمسارب تكاد تكون خفَاء ...

سامي : — سترى أني أحْذَقُ منك في القيادة... وأجْرَأ منك بكثير عَلَى سَبر متاهاتها والاهتداء إلى مسالكها الخفية ... ولكن الآن أراني إلى النوم في مسيس الحاجة فَهَلْ نحن آخذون منه نصيبا ؟...

فؤاد : — لك ذلك إذا شِئتَ ولعَلّنا بذلكَ نريح الحمار .. أمّا أنا فلن أنام !. سوف أتمدّد عَلَى ناعم الرّمل واغازلُ أشعة القمر الفضية واحلم بحبيبتي وأنعم بالسّكون والاطياف.. (يحطان على الحمار وينام الحمار وسامي ويَبْقَى فؤاد مستلقى عَلَى ظَهْره صَامتا ساكنا هَادئا .

**

« في اليوم الثاني من الرحلة يظهران في الصحراء بين الرمال وأشعة الشمس تنذر بيوم حارّ عبوس ... فؤاد يركب الحمار وسامي بيده اللجام فيدور بينهما هذا الحوار : »

فؤاد : — انعطف قليلا إلى اليسار فالطريق على مّا اعتقد.. يخيل إلي أنّها من هنا .

سامي : — لاَ. يجب أن انعطف عن اليمين فالطريق من هنا قطعا. والكنز وراء هذه الكثبان.. وأرجوك أن لاَ تكن هيابا مقطاع

العزم... تشجع ، ودعك من طبيعتك الراكنة دوما إلى الدعة والتخاذل.. لكم أنت ميال إلى الدعة ..

فؤاد : — أرجوك لا تهرف... لا تسمّي اطمئنان اليقين تخاذلا .. إنه صمود محض وشجاعة منقطعة النظير.. ومع ذلك فليس وراء هذه الكثبان كنز .. والطريق إليه إنّما هي هذه التي على اليسار — يقيني أنّه تحت تلك الزيتونة المفريدة في الصحراء ... انظر إليها.. الا تراها يهزها السراب هزّا .. لكم حاولت أعاصير الصحراء اقتلاعها ولكنّها تأبى الا الصمود

سامي : — تعتقد ان الكنز تحت تلك الزيتونه... لاشكّ أنّك غبي إلى حدّ بعيد... ألا تعلم أن هذه الزيتونة الوحيدة في الصحراء لا بد أن يكون قد أمها قبلنا كل من جاب هذه الرّبوع طلبا للظل والمقيل تحتها تهربا من أشعة الشمس الناهشة العضوض... ولو كان الكنز عندها لاخذه قبلنا رعاة الابل الذين يتخذونها في الصيف ظلة وفي الشتاء من أغصانها وقودا إذا اشتدّ الزمهرير .. وان إدلهمّ الظلام فنورا..

فؤاد : — أعرف كل ذلك... وأعرف أن كثيرا من الرعاة استضاؤا بنورها .. ولكني أشعر بأنّها تناديني إليها وأرى في حماري ميلا لا يقاوم في الاتجاه نحوها .. ان صمودها في هذه الصحراء من قديم الزمان غير حافلة بزواحف الرمال وانحباس الغيث يغريني بها اغراء. ولئن أضع رأسي على جذعها الثابت خير من أن اتوسد رمالا لا ولن تعرف الاستقرار... وإذا كنتَ من عشاق الترحال والبحث والتّنقل فلك في رمالك وكثبانك مبتغى .. ولي في شجرتي هذه ألف كَنْز ... إنّها في هذه الصحراء ضرورة من ضروراتي ولو لم تكن بالفعل لكانت بالقوة وكنت أنا واجدها حتى في خيالي ؟ !

سامي : — حينئذ نحن الآن على مفترق الطرق...حصّل بيننا سوء تفاهم وَصَل حد الشجار ... ونحن رفيقان في رحلة المصير .. والماضي جمعنا فَعلامَ هذا يكون ..

فـؤاد : — صدقنِي إنّي قد ضقت بك ذرعا . أنت كتلة من عناد وشك.. واسمح إذ أقول أنّكَ أنانِي كبير.. ومن طراز غريب ..

سامي : — لكن لماذا لاَ تسمى ذلك جرأة واعتدادا بالنفس وثقة بها.. وهذه كلها صفات ضروريّة لرجل نَـزّاع إلىَ هتك الاسرار وتمزيق الحجب ومعرفة الحقيقة .. أتضيق بي لانّي معتد بنفسِي ؟!..

فـؤاد : — اعتدادك هذا وثقتك بنفسك سوف يجرانك يوما إلى أن تحطم كيانك وتحطمني وتحطم الحمـار .. وتجني على وجودنا الاسْيان المُتآكل ، فمن الخير أن نفتـرقَ .

سامي : (ينحني عَلى الحمار فيأخذ الجاروف والمعول من الزنبيل ويضعهما على ظهره ثم يقــول)

هنَا قد افترقنا الآن... ولكن مَعَ هذا فنحن رفيقا مصير!. ألسنَا رفيقين في رحلتنا هذه ؟.. ألم يجمعنا هذا الحمار الوحيد ؟! ألمْ يشدّنا إلى بعضنا بعض شدا في كامل الرحلة !؟. أتُرَى تُقَدّرُ لهُ الحياة أو اقتسمناه نصفين وافترقنا !؟

فـؤاد : — يا للْهَول !.. ما هذا ؟ إنّه حمارنا ولسوف يفقد كل قيمة عندما نتركه وسيغدو جيفة نتنة لو نحن اقتسمناه نصفين و.. و.. ، وداعا يَا صديقي العزيز... وعلى كل لا تنس صديقك الابدى وحمارنَا العزيز.. وأرجو أن لا يخطف بصرك بريق الكنز وألاّ تحطمك روعة الاكتشاف؟!

سامي : — وداعا يا صديقِي.. ولكن صَدّقنِي انّك لن تجد الكنز تحت تلك الزيتونة !.

فـؤاد : — لِي في ظلالها مقيل وفي جذعها متكأ وذلك حسبي .. إن رقدة مطمئنة في يوم قائض تحت شجرة وارفة الظل شيء له قيمة في هذه الصحراء ؟! .
(ينطلق فؤاد بالحمار نحو الشجرة وينعطف سامي سائرا بين الكثبان)

سامي (وحده : —

هذه الكثبان تحير العقل لكثرتها وتشابكها والله .. إنّها لتهد

القوى هدّاً لرخاوتها وتشبثها بالاقدام ولا تشبث الرضيع بثدي أمّه ... ما عدت أقوى حتى على السير فيها انّها تبتلع قدماي ابتلاعا ... ها أنا اترنّح كالسكير..... ولكن لسوف أبحث ما أستطعت لعلي واجد شيئا ... ما هذا البياض ؟!. انّها احجار تكاد لا تبين ... لا بد أن يكون الكنز تحتها... لابدأ العمل الآن يجب أن أسرع فاليوم قائض إلى حد مريع ... ها قد تصبب جبيني عرقا بمجرد ما حركت الجاروف مرتين ... إن قلبي يدق يخفق خفقانا سريعا ... خفقان الفرحة ؟! . لا شك أنّي اهتديت .. آ.. قد اقتلعتها... إنّها ليست كبيرة جدّا... تكاد تكون صخرة عادية.. يجب أن أكسرها بالمعول لعلّ الكنز فيها... يا للغرابة ؟. ليس بها أي شيء ؟!. ولا حتى تجويف صغير .. لابدّ أنها مجرد علامة والكنز تحتها بعيد في الرمال .. يجب أن أواصل الحفر .

...« يواصل العمل والعرق يتصبب من جبينه والشمس تشوي لحمه والرمضاء تكويه كيا حتى تنهار قواه ويعجز عن العمل فيقوم إلى برنسه ويبنيه على يد الجاروف ظلة صغيرة يستظل بها.. فيهتف به هاتف » ...

الهاتف : — تبا لباحث في الصحراء عن كنوز لديه اضعافها وسحقا لجهلة أغبياء فتحوا أبصارهم وأعموا بصائرهم .. يحاولون رؤية توافه حولهم ولم يعرفوا ولا مثقال ذرة عن كوامن أنفسهم ..! انّهم لخاسرون ولن يصلوا إلى الكنز الاعظم ماداموا يبحثون عنه في غير نفوسهم .. «وفي انفسكم أفلا تعلمون » .

سامي : — ماذا تقول أيُّها الهاتف ؟!. في نفوسنا !. ولكننا ما وجدناه فيها ولا رأينا له أثرا ...

الهاتف : — كذا أنتم يا ابناء الغرور.. جلكم عميان يدّعون البصر ، تغرهم حواسهم ، وتخدعهم أبصارهم وما علموا أنّها لا تعمى. ولكن تعمى الابصار التي في القلوب ».

سامي : — أيها الهاتف : لم أفهم أحاجيك وألغازك.. بربك دلني

على الكنز المغيب في الرمال صَرَاحة ، فقد احتواني الضياع في صحرائكم هذه. هل الكنز موجود ؟. طَمْئِنّي ياسيدي... امتحني اليقين فقد نفد الصبر واستفحلت الاوهام ودب القلق في حياتي وتهت في صحراء الشكوك ، والشمس هنا ناهشة عضوض ..

الهاتف : — في نفسك ولم تره فما آمنت بوجوده.. لا تحاول البحث عن كنزك هنا... كل شيء يمكن وجوده هنا إلا هذا الكنز؟! دعك من كاذب القول وزائف الافتراضات والشكوك وتذكر حكمة ذلك الشيخ « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » .

سامي : — حينئذ لا يوجد هنا كنز ؟.. أين تراه يوجد بالضبط أيها الهاتف وماذا يوجد في صحرائكم هذه ؟.. قُلْ بربك ...

الهاتف : — صمت ....

سامي : — ألا تتكلم ؟.. أم أنك لم تفهم قولي.. أم لم تسمعني؟! أيها الهاتف ... أيها الهاتف ... يا هاتف...

الهاتف : — .... «صمت »

سامي : — حتى أنت غادرتني أيضا !..تبا لي من رجل سيىء الحظ .. كلما لاحت له تباشير الفرج تكشفت عن برق خلب ووعد كذوب وسحب جهام.. كأنما حُكم على بان أعيش الحياة تتقاذفني تيارات الشك والامل.. كما تتقاذف الانواء زورق صغير ثاو بالضفاف مشدود إلى الصخور بحبل طويل .. وهكذا أراني اليوم مشدودا إلى هذه الصحراء تأكلني الخيالات ويلفني الغموض. كنت في الطريق لا أفهم جيدا الحمار ولا صاحبي ولا الدموع التي فسرتها واهما... وها قد جاء الهاتف فكنت به بادىء الامر كمن لاحت له تباشير النجاة فما زاد على الكلام بالطلاسم والالغاز .. ثم أفقد زميلي والهاتف وأبقى وحدي عرضة لاعاصير القلق والشكوك وحتى الخوف أخيرا... لشد ما اغبط صديقي على هدوءه المطمئن... لم يبق لي إلا أن أعود إليه فأقاسمه ظلال تلك الزيتونة وأضع رأسي على جذعها الثابت ونأيا للرمال.. ان جهدا أصرفه في استقصاءات لانهاية لها بين كثبانها لجهد ضائع .من الخير لي أن أترك الشك الملحاح وأنعم مثله بالراحة وأقاسمه وارف الظلال...

سالم دمدوم

قريتي والتراب الاخضر

شعر : أحمد المختار الهادى

هنا قريتى واخضرار التراب
يغشى رواسينا العاليه
ويغزل من فوقها الف برد
فيزهو بقريتنا الف طود
وتغمرها نغمة حانيه
فتنسى صروف الاسى والعذاب
وتحملها نخوة وشباب
وترقص فى اغنيات عذاب
على نغمات القطارات آنا
وطورا على ضربات المعاول
ودق المطارق
ويندفع الجهد يروى الزمانا
يهز المغارب مثل المشارق
فتهفو الجبال
وتخضر ثم تميس التلال
وتحطم كل حدود الخيال
وكل المحال
لتجرى وراء اخضرار التراب
وتلهث رغم اندفاع الشباب
لكى تلتقى قريتى العاملة
هنا فى مناجمنا الآملة
بألف غد مشرق أرحب
بمجهودنا الوافر الطيب
وفسفاطنا مضرب للمثال
وعزماتنا
عزمات الرجال
تحيل التراب

الى ذهب أسود لامع
فنقبر فى أمسنا الشاسع
بقايا الهوان
ونبنى الزمان
وتظهر أمجادنا للعيان
لنكتبها فوق هذى الجبال
بمجهودنا الوافر الطيب
بحبر يخطط فوق الجباه
معانى الحياة
فيخلد فى الشرق والمغرب
فترقص فوق اخضرار التراب
لفسطاطنا راية من جمال
تبختر فوق الجبال العوال
فتفتخر قريتنا بالجبال
بهذا العطاء
بهذا الذى وهبته السماء
لهذى التلال
بقريتنا باخضرار التراب
وفسطاطنا مضرب للمثال
وعزماتنا
عزمات الرجال
تحقق فى اليوم الف محال ...
فيزهو غد مشرق طيب
ويفتح مستقبل أرحب
لقريتنا الف حضن كبير
فنخلق ألف وألف مصير
بعزماتنا الفذة العاملة
لقريتنا الحرة الآملة
ونمضى لنعبد فى لهفة
ونلثم فى نشوة
مرابعنا واخضرار التراب

احمد المختار الهادى

قلب على شفة

لأحمـد اللغمـاني

عرض وتقـديم جعفـر ماجـد

ظهـر في الايام الاخيرة بعد « أغاني الحيـاة » في طبعته الثانية ديـوان تونسي آخر طالما انتظرته الاوساط الادبية في تونس هو (قلب على شفة) للشاعر الكبير أحمد اللغماني ، والديوان يقع في 218 صفحـة من الـورق الصقيل ، نشرته الدار التونسية للنشر واشرفت على طبعه بالمطبعة الرسمية، وقد يبدو هذا الاسم غريبا لمن لم يتصفح الديوان ولكنك ما تكاد تفتحه حتى تفهم اسمه من الاهداء والتقديم فالشاعر رفعه الى (أنبل قلب وأصدق شفة الى الحبيب بورقيبة) وتقدم اليه في عيد ميلاده ليبوح اليه بصبوته وقلبه نغمة على شفتيه :

رئيسـي الحبيـب أتيـت بقلبـي علـى شفتـي نغمـة تنســق
أتيتـك أسعـى وبي صبـوة تمـوج وبي لاعـج يحـرق
فعيـدك عيدي وأنسـك أنسي وقلبـك في أضلعـي يخفـق
وأنـت لي القصـة المشتهاة وأنـت الرجـاء الذي أرمـق
وأنـت الأليف الـذي أفتديـه وأنـت الحبيب الـذي أعشـق

والشاعر أحمد اللغمـاني من الترشيحيين العصاميين الذين شقوا لأنفسهم طريقا بين الاشواك ولم تخمد فيهم شعلة النبوغ ، فباشر التعليم الابتدائي والتفقد وأرضى في نفس الوقت حبه الشعر واستجاب لحاجة الخلق ، وديوانه (قلب على شفة) صادق التعبير عن هذه العصامية : فترانا نتبع الشاعر من قرية زارات مسقط راسه التي احبها وتغنى بها وهام الى مراتع شبابه في العاصمة والوطن القبلي الى بيته حيث الايام تنسج الفواجع والمآسي ويسكب الشاعر عطفه الأبوي « على سلواه « أسماء » وابنائه اليتامى ثم ترانا نسير معه في طريق الكفاح حيث يستفز الهمم ويغني النصر – ولو شئت ان تبحث عن أغراض الشعر في الديوان لوجدت الغزل والوصف والرثاء والمدح وما ألفت من ابواب الشعر القديمة ولاستطعت ان تنقد صنعة الشاعـر واكتمال آلته عبر السنين فقد رتب اللغماني قصائده حسب تاريخ نظمها فانتظم لديه من اكتوبر 1945 الى اوت 1965 سبع وسبعون قصيدة ومقطوعة الا ان نقد شعر اللغماني في رأيي لا ينبغي ان يكون « أفقيا » ان نحن شئنا أن نـرى خصائصه الكبرى في وضوح او شيء يشبه الوضوح – مما لا شك فيه اولا

أن اللغماني لم ينشر شعره كله ، ولا داعي الى الحدس والافتراض فقد قدم الشاعر اولى مقطوعاته بهذه الكلمة : (من قصيدة القيت في حفل توديع المرحوم الاستاذ أبي الحسن بن شعبان من دار المعلمين الى دار المعلمات يوم 15 اكتوبر 1945) ، ومن باشر التعليم الابتدائي يأسف لخلو الديوان من المقطوعات المدرسية الجميلة التي تغنى بها الصبيان فترجمت في كثير من الحالات عن بعض العواطف المكبوتة في نفس الشاعر ، ومهما تكن ميولك فأنت مار في ديوان اللغماني على كثير من الابواب مرور السحب وواقف عند أبواب أخرى وقفة الفاحص المستمع،فأنت تستطيع الدخول الى«عالم اللغماني»من ابواب ثلاثة كبيرة : الشعر الوطني والشعر العائلي والشعر الاجتماعي ولكنك قد تتيه في متاهاته واذا لم تمسك بالخيوط الرقيقة التي نسج الشاعر منها سدى أبياته فاذا اقتحمت أبوابه وفي يديك هذه الخيوط الاربعة : الألم والحنين والوفاء وحبّ الوطن فهمت الكثير من فنه فيما أرى ؟

وان قال اللغماني انه وضع قلبه على شفتيه فشكواه بعيدة عن نواح الرومنسيين لان الشاعر شديد عنيد فلم يصرعه غير الاسى ولكنه لم ينتزع منه غير الاعتراف بالهزيمة ، فنرى دمعته على أبي الحسن بن شعبان تنزل في صمت كأنه صمت (الذئب) :

إني أمرؤ من ثرى الأبطال منبته لكنه ليس في حرب الاسى بطلا

واذا فر الرومنسيون الى الغاب ليسكبوا الدموع في ظلال الخميلة ويأنسوا بعشرة الطيور والزهور ، فاللغماني يضيق بالزمان أكثر مما يضيق بالناس ويدعو وهمه المجنح الى الهروب به من حاضره الى ماضيه :

بالله يا أيها الوهم المجنح طر بي نحو أمسي واطو الدهر والسبلا
قد ضاق بي حاضري أما غدي فعلى شك أراه : صحاري قفرة وفلا
أقلني نحو أمسي انني وجل ولست من غير يومي خائفا وجلا

والسر في ذلك ان الشاعر يريد ان يبقى آدميا « بما يعاب وما يذم » له روح يحملها وعاء من لحم ودم لا تشبعه الاحلام ولا ترضيه الخيالات :

أنا لست أرضى أن أحب خيال طيف منعدم
أنا لست ممن يحتمي برؤى الخيال ويعتصم
الوهم أخشى ان ركبت ضبابه أن أرتطم
اني ترابي ولي في واقعي رسخت قدم

وهذا الألم الشديد ينهل من عيون ثرة هي المواطن التي تصطدم فيها حساسية الشاعر بواقع لا يرضاه ، فترى اللغماني ينفث اوجاعه لا هروبا

وخوفـا بل رغبة منه فى تغليب العاطفة والفكرة على مادة العالم ، وقد يصرح الشاعر احيانا بضعفه الا ان هذا الاعتراف لا يعدو ان يكون قطرة على جبيـن مجهد لا ينى ونفثة يستمد منها سيزيف قوة لمحاولة الوصول الى القمة ـ واذا كان الألم نتيجة حتمية لنزاع مر بين العالم والشاعر فلا عجب ان يتألم الشاعر لبائس شريد لا آكل له ولا مأوى ، يؤذيه (قدره الانسانى) عندما يراه يصارع البلوى ويواجه لذعات البرد ودبيب المرض واذا بصراعه هو هو صراع الشاعر واذا بأشواقه عين أشواقه فيرثيه لانه لم يعرف حنان الام مثله ونمت معه الاحزان فى المهد حتى كأنه رضع البؤس • ما ذنب هذا الصبى وما السبيل الى الهروب به من تعسه الذى يتبعه كظله ؟ وعند ذلك ينفجر العالم كالبركان فيكشف عن متناقضاته المزعجة : ذئاب ماكرة وبغى فاحش وخطيئة نكراء كلها فى زخرف حلو وبراقع خلابة خادعة :

يا فاقد الالف يا ابن البؤس ما اقترفت — يـداك ؟ أم أى ذنـب كنت تصنعـه
فتحت عينيـك فى أرجـاء مظلمـة — مـن عالـم حجبـت بالظلـم لمعـه
كـون تغـرب فيه البـر وانقطـع الا — حسـان واستمـرأ الآثـام خشعـه
نارت به النقمة الكبـرى وزمجـرت الـ — أهـوال وامتـلأت بالـرعب أربعـه
هنـا الخطيئـة تذكيهـا مطامعـه — وههنـا البغى يغـذوه تجشعـه

وكم يرى الناس البائسين الا ان نظرة الشاعر اليهم تستجلى على وجوههم « سحبا حوامة » قد لا يراها كل الناس فلا يزال يستكشف حمولاتها حتى يرى الجفن الساهر والفم الفاغر والقلاع الملقى الى نزوات الموج واحكام القـدر ، فيقول عن (الشريد) :

وجـه كمـا شـاخ الآلام منكمش — عليـه من حزنـه سحب تبـرقعـه

ويرى نفس السحب على وجه السائل فيقول :

لاح لى كالخيـال يخطـو الهوينـا — أثقلتـه كـآبـة وسـآمـه
ضـج من حولـه الأسى وعلتـه — سحب مـن شقـائـه حوامـه

والشعر الاجتماعى من أطرف الابواب فى ديـوان اللغمـانى فلا ترى فيه « الوعظ » ولا « البكـاء » بل شيئا كالنقمة الغنية الخلاقة اى ارادة تحويل قبح العالم الى ما تأنس اليه عين الشاعر وينشرح له صدره : الجمال والحق ! ولكن الفقر ليس الا مصدرا من مصادر الألم ، فثمة الموت والموت من أعداء الشاعر الكبار ولعله ألدهم واشدهم وقعا فى نفسه ، وليس منا من يقرأ (قلب على شفة) دون ان يرى اللغمانى يطارد الموت كانه الوهم الملازم ، فهذا صديق يرزأ بأمه وذلك آخر يختطفه الموت من أصحابه واحبابه الا ان الموت لم يؤذ الشاعر فى شخص مثلما آذاه فى زوجه وفى استاذه أبى الحسن ، ولا داعى

الى التذكير بافتقار الأدب العربي الى الادب العائلي ، فرغم القليل النادر مما جاء في شعر بعض الاعلام لا يمكن ان نجد في هذا الباب ما يضاهي أدب Victor Hugo و Louis Aragon مثلا . وإنك لكاشف في بكاء اللغماني على زوجته اكثر من رثاء زوج تؤذيه رؤية اطفاله اليتامى يهرعون اليه فلا يعطيهم غير عطفه الابوي ، انه حب قديم قد نشأ في دار المعلمين وشهد أبو الحسن بدايته ونهايته ، فكم كان قبل وفاة زوجته يتردد معها على الشيخ الذي تتلمذ عليه حتى اذا ماتت خشي الشاعر من نزيف جراحاته فأمسك عن زيارة أستاذه وأجابه عن لومه بقوله :

أبا الحسن الطهور القلب انى أغار على المودة أن تخرا
ضننت بزورة لا عن نفور وأنت أب بقلب الابن أدرى
ولكنّي أخاف على جراحي من الذكرى فنزف الجرح ذكرى

ولكن كلما تلفت الشاعر حوله الا رأى طيف من كانت نورا لعينيه فعلمته كيف يحس بالكون والحياة فيرى الزهور ويمني الرؤى بين الروابي والحزون — أما الآن فخير له ان يشارك الصخر في جموده وقد أعيته الليالي فما نفعت خمر ولا سلوى : انه يرى زوجته في تهنئتها له بعيد ميلاده وعلى مقعد الروضة وفي وجه بنته التي تخرج الى سائل يوم الجمعة بطعام وشراب ترحما على روح أمها لانها (كانت تؤمن بذلك أشد الايمان رغم صغر سنها) ، ويراها في البيت الكئيب الذي رجع اليه وحده لنقل ما تبقى فيه من المتاع :

ودخلت الدار ناديت كما كنت في الماضي أنادي في إيابي
فأجابتني أصدائي وقد خدعتني كأكاذيب السراب
وتمسحت على أبوابنا وتمرغت على ذاك التراب
هأناذا جئت يا منزلنا شفني البين وأضناني اغترابي
مرحبا ! هل لك في أنشودة هي رجع الصمت في هذا الخراب

بل انه يذكرها في الافراح التي كانا ينتظرانها ويحلمان بها معا افراح البلاد في عيد الأمة :

يا حبيبي ملء قلبي خاطران
فرحة للوطن المندفع
وأسى ما زال يكوي أضلعي
قد شهدت اليوم وحدي ما تمنينا معا
قد شهدت اليوم وحدي ذلك الفجر الجديد
ألمعي المطلع
آه لو كنت معي !

وهكذا يبقى الألم ذلك الخيط الاسود الذى يكدر صفو الشاعر فلا هو يطمئن الى يومه التعس ولا هو يأنس الى غده المجهول ، فترى اللغمانى فى اشعاره الاخيرة يحاول القبض على بقايا شبابه قبض الشحيح على ماله لان الايام علمته ان الحاضر خير من الآتى — أما الحنين فقصائده فى قريته الزرات والتحسر على شبابه المفقود والشعور بالغربة تغنينا عن البحث عن هذا المعنى خـلال الأبيات ! !

ومن المعانى التى قلنا ان شعر اللغمانى احتوى عليها ما يمكن ان نسميه : الوفاء ، والحقيقة اننا بهذه التسمية نحاول ان ننقد قسماً كبيرا من الديوان قد لا يلتفت اليه غيرنا ولا يرضاه وهو شعر المناسبات ، ومهما يكن راى الناس فى هذا الصنف من الشعر فكم كنا نود ان يوجد بهذه الكثرة لانه حتى اذا توفرت فيه الجودة لا يمكن الا ان يقيد صاحبه فى طريق القديم الممجوج والوفاء للاصدقاء والشهداء قد يسمو به الشاعر من مستوى الفكـرة البسيطـة الى العاطفة الانسانية العامة الا ان اللغمانى كثيرا ما أهدر كلمـاته فى شـؤون صغيرة كان يمكنه الاستغناء عنها مثل التعازى والتهانى ونعلم اننا بهذه الملاحظة السريعة نثير قضية كبرى ولكننا لا نتردد فى القول ان الشعر العربى لم يتطور منذ مئات السنين الا لان العرب لم يغيروا نظرتهم الى الشعر ولا نرضى لموهبة خلاقة مثل موهبة اللغمانى ان ترزح فى أغلال الموت وتحنط فى توابيت المناسبات .

أما الشعر الوطنى فى ديوان اللغمانى فهو أشهر من ان يقدم .

ولعله من المفيد ان نسجل عناية الشاعر بهذا الموضوع وخاصة مدح فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة قبل ان يمن الله على البلاد بالنصر فكان الشاعر يستلهم معانى المجد والبطولة من صور الزعيم المجاهد ويخاطب الطغيان على لسانه ويرثى الزعماء والمفكرين مثل عمر السعيدى والمنجى بـالى والشـابى وسعيد أبى بكر ويحارب الفوضويين دعاة الانشقاق واقزام الزعامة :

شبـابنــا وأنـا الباكيـــه غـــرره	**دعـاة سـوء ولـم يرعـوا له شانـا**
فـأوردوه الـردى مهـرا لمطمعهم	**فخاضه مغمض العينيـن نشوانـا**
.. فيـم التقاتـل والاعـداء شامتة	**يـا عار ما جئتـم يا شـؤم ما كـان**
تشـدق وأكـاذيب وجعجعــــــة	**جـماجـم حشيت زورا وبهتانــــا**
يا قوم لا يسلم الفلـك الذى كثـرت	**قواده بـل يجـوب اليـم حيرانــا**
انـى ارى لـه ربانـا ولست ارى	**سواه فى العاصف الهـدار ربانـــا**

ولسنا فى حاجة الى التذكير بالشهرة التى حصلها الشاعر فى العكاظيات الاخيرة وخاصة أعياد ميلاد فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة ، فمن المعروف ان

الرئيس قال له ذات يوم : كل قصيد جديد تقوله يكون أحسن من سابقه .. ألست بالغا حدا ؟ فأجابه اللغماني ، عندما أبلغ هذا الحد أهجر الشعر ! واظن ان اولى القصائد التى جلبت عناية السيد الرئيس ببراعة اللغماني فى هذا الميدان حائيته التى سمعت بنفسى ثناء الرئيس عليها بعد سماعها بايام وكأن ذكراها لم تفارقه :

كم ركبنـا الأوهـام دون جنـــاح وخطبنـــا الاحـــلام فى الحـــاح

حتى يختمها بقوله :

أنـــا ان قلت سيـــدى ورئيســى قصر القـول عن مـدى افصـــاحى
حسبه ان دعـــوته يـــا حبيبى ذاك أغـــلى وأشرف الامـــــــداح
أنـــا غلقت عن ســواه فـــؤادى واليـــــه سعيــت بالمفتـــــاح

ومن علامات نجاح اللغماني الباهر فى العكاظيات ان السيد الرئيس قد أمر بأن تنقش قصيدة برج لبوف على لوحة وان تعلق على البرج الذى اصبح يسمى برج بورقيبة . والحقيقة ان قصائد اللغماني الاخيرة فى الرئيس تمثل مرحلة جديدة فى شعره .

فقد كانت قصائده فى المرحلة الاولى تتسم بالميل الى القديم فترى الشاعر يعتنى بشكل القصيدة عناية اكثر ولا يتردد فى استعمال الصور القديمـــة والعبارات الغريبة والمحفوظة احيانا : الغطاريف ــ غيث ــ الحسام ــ الضرغام وغيرها من لغة الادب القديم ــ وقد يكون من المفيد ان يقارن شعره السياسى فى الحقبتين حتى يتضح الفرق الشاسع بين صناعته الاولى وطريقته الجديدة

ذى صورة الاخـلاص للوطن المقـدس رمـــز مـن بـــلاده قـد هـامـــا
ذى صورة النصر المبيـن وقـد دنـا ثبـت الخطى مترنحـــا بسمـامـــا
ذى صـورة النسر المحلق فى الفضاء عـــاف السهــول وما ارتقى الاكامـا
ذى صورة الضرغام هـاك نعوتــه وصفـاته ان لـم تـر الضرغامـا

فأنت ترى ان هذه الاعادة تضفى على الابيات نفسا خطابيا فاترا ، فهى لغة تقريرية حظها من الخيال ضئيل ، فالصورة تجسم الاخلاص للوطن المقدس ولكن البيت لم يقف عند هذا الحد من البساطة فنعتت الصورة بأنها رمز الذى هام ببلاده والمعنى الثانى ليس أقوى من الاول ، ثم انظر كيف تكلف له الشاعر طريقا وعرة ، فاستعمل (رمز) وهى كلمة نابية عن لغة الشعر ، و « قد » فى عجز البيت واراد ان يجانس بين لفظتى « نصر » و « نسر » فجاء الحديث عن النسر مبتذلا اذ وصف النسر بانه محلق فى الفضاء لا ابتكار فيه رغـــم

الضرورة الواردة فى قصر الفضاء ، ثم ما رايك فى نصر ياتيك (ثبت الخطى مترنحا بساما)، اما البيت الاخير فهو دليل قاطع على ان اللغمانى كان فى الطور الاول شاعرا ميالا الى القديم ، يحب استقلال البيت ويستمد شاعريته من اللغة فيولد الكلمات ويبحث عن المفاجآت :

ذى صورة الضرغام هاك نعوته وصفاته ان لم تر الضرغاما

وتقرأ شعره فى الطور الاول فتلمس محاولات الشاعر فى البحث عن طريقه، فتارة رومنطيقية باهتة تذكر ببعض قصائد الشابى :

مرحبا بالصباح بالصباح الوليد
الربى والبطاح رنمت بالنشيد
مذ علاها انشراح غب عيش نكيد

فى ظلام حشيد

أما الظاهرة الغالبة على طريقته فى الطور الثانى فهى الميل الى الاسلوب القصصى بما فيه من وصف ومن تشويق مما يجعل من القصيدة لوحة متكاملة .

جعفر ماجد

أضواء الفكر

• **ملتقى هواة الأدب :**

هواة الأدب برنامج اذاعى يشرف عليه الشاعر أحمد اللغماني وينتظم له في كل عام ملتقى انعقد في هذه السنة بالمنستير من 2 الى 8 أوت 1966 وألقى فيه السيد محمد مزالي المدير العام للاذاعة والتلفزة كلمة نلخص فيما يلي أهم ما جاء فيها :

« أعبر عن سروري بالالتقاء معكم للمرة الثانية حيث حضرت ملتقى رادس منذ سنتين باعتباري انتسب الى اسرة الأدب ، واني اعتبر ان حصص « هواة الأدب » مفيدة اذ هي تأخذ بيد الناشئة وتساعدهم على التقدم في درب صعب بحيث يقطعون مراحل في طريق الجودة والتوفيق في ميدان التجربة الأدبية ، وربما في ميدان الخلق الأدبي . واني اتوجه بالشكر الى القائمين على هاته الحصص والمشاركين فيها واعتبر انها مساهمة من طرف الاذاعة في تقدم الأدب التونسي واعانة الناشئة على تحسس الطريق القويم . وقد رأت الاذاعة ان تنظم هذا الملتقى بمناسبة عيد ميلاد فخامة الرئيس وسيكون تحت شعار التجديد في الأدب . ورأيت ان اساهم ببعض الخواطر حول هذا الموضوع .

ـ اولى هاته الملاحظات هي ان التجديد في الأدب وفي غير الأدب مظهر من مظاهر الحياة الانسانية ، وتوق الانسان الى اسلوب في الحياة أحسن باعتبار ان الانسان يحيا بحسب ما اعتقد انه الحياة الفضلى اذ التجديد وظيفة حياتية من وظائف الانسان المدعو الى أن يحيا حياة الكرامة حياة الانسانية الحق .

ـ والعبرة ليست بالجديد او القديم بل العبرة بالمحتوى والاسس وكذلك مستوى صاحب الاثر .

ـ والى جانب الاساس الثقافي المتين هناك قيم اخرى وفي مقدمتها **الاصالة** ، فعلى الأديب الناشىء ان يستنبط وان يجتهد وان يحاول الصدق .

ـ ويجب على الأديب ان يكون **شجاعا** ليصمد أمام قلة أو عدم فهم بعض المعاصرين له .

ـ ويجب عليه ايضا ان تكون له **ثقة في نفسه** ليستطيع الصبر على استنكار المعاصرين أو قلة تشجيعهم له .

وهاته الخصال اى العزيمة والشجاعة والصبر تساعده على الصمود أمام نفسه وأمام الناس .

وبهذا نستخلص أن الأدب رسالة قبل كل شيء وان الأديب ملتزم بالاضطلاع باعباء هاته الرسالة لخدمة المجتمع والانسانية التي ينتسب اليها ٠

وفي ختام هاته الكلمة انصحكم بالاعتزاز بانفسكم باعتباركم تنتسبون الى أمة تعتزون بأدبها وبرجالاتها حتى نتخلص من العقدة الموجودة عند الكثير ٠ وافتخارنا بما عندنا ليس باعتباره كاملا وانما يجب ان نحبه ونعتز به وان نحاول اثراءه والوصول به الى المستوى المطلوب كما فعلنا بالنسبة للانتصار السياسي حيث اعتبرنا ان تونس واجبة المحبة وانه يمكنها ان تنجح وتنتصر » ٠

وفي نهاية الملتقى اختتم فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة اشغاله بخطاب توجيهي كتبت عنه جريدة الصباح في ركن صباح الخير بما يلي :

« أكرم فخامة الرئيس هواة الأدب وتحدث طويلا عن شغفه بالأدب والعربي منه خاصة وأدلى ببعض التوجيهات وأعرب عن سروره بأن الشباب مقبل على التحرير والانتاج باللغة العربية في متانة وخلق رغم ان برامج التعليم قد حورت وادخلت عليها تعديلات بعد الغاء التعليم الزيتوني العتيق ٠

وبالحق فان تخوفات كثيرة وقع الاعراب عنها همسا وعلانية اثر قرار اصلاح التعليم وتوحيده والغاء اسلوب ومناهج التعليم الزيتوني العتيق ، وظن الناس الظنون بأن الشباب الصاعد سينشأ غريب الوجه واليد واللسان وسينسلخ عن عروبته ٠

وكان هذا الظن مبنيا على التشاؤم الابله الذي لا يقوم على أساس خاصة والكل يعلم أننا قررنا تعريب التعليم وخطونا في ذلك خطوات كما قررنا تعريب الادارات والمصالح العمومية واستطعنا منذ اعلان الاستقلال حتى اليوم أن نعرب تعريباً كاملا مجموعة كبرى من تلك الادارات والمصالح ٠

وكان من نتيجة ذلك الاصلاح أن كثر عدد الذين يقرضون الشعر العربي ويكتبون القصة العربية وأن تعج النوادي بالمحاضرات والمناقشات وأن تنعقد الملتقيات والمؤتمرات الطلابية والعمالية والاقتصادية فتقدم التقارير والمناقشات باللغة العربية وما سمعنا مرة مسؤولا في الحكومة أو الحزب يخطب في اجتماع مهما كانت الفئة التي تحضره بغير اللغة العربية ٠

واذا كانت اللغة الفرنسية باقية في تونس مزدهرة فلانها لغة حضارة وعمل نستخدمها في معاملاتنا مع عالم كبير يتكلم بها ونلقنها لابنائنا في المدارس ليستطيعوا متابعة تعلمهم في جامعات أوروبا ، بل أننا أدخلنا في برامج مدارسنا مجموعة من لغات أجنبية أخرى ليس لها ماض في بلادنا مثل اللغة الفرنسية ، ذلك أننا نحب أن نتعامل مع كل الناس ونستفيد من ثقافات كل الناس ٠

أما العربية فهى لغتنا الرسمية علينا أن نحسنها الاحسان كله وأن نبرز فيها وأن ننشىء فيها تراثا أدبيا وفكريا نفيسا نضيفه الى التراث الذى خلقه لنا أجدادنا وهو مفخرة من مفاخر العروبة فى كل مكان وعصر .

ومعنى هذا أن العربية فى تونس بخير وأن مساهمتنا فى الفكر العربى بلغة العرب لم تنخفض حجما ولا قيمة بل ان اللسان التونسى أفصح لسان عربى فى بلاد العرب كلها .

ومن يحب أن يلمزنا بالفرنسية انما هو كذاب أشر ومتجن يسفهه الواقع فى الماضى والحاضر » .

◆ مجلة « المسرح والسينما » :

« المسرح والسينما » مجلة تصدرها كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار وتعنى بالبحوث والدراسات السينمائية والمسرحية .

وقد صدر العدد الثالث من المجلة شاملا لانباء السينما والتلفزيون فى تونس وخارجها — من تاريخ السينما التونسية — نقد الافلام — دراسات سينمائية — نقد ودراسات مسرحية — شخصيات مسرحية — انباء المسرح فى تونس وخارجها .

ومع هذا العدد هدية تتمثل فى رواية — نومانسا — تأليف الكاتب الاسبانى سارفنتاس وترجمة الروائى المغربى احمد الطيب العلج .

◆ منظمة اليونسكو :

اصدرت منظمة اليونسكو نشرة خصصت لتقدم التربية فى بعض بلدان افريقيا .

◆ الشاعر مصطفى خريف :

تتقدم صحة الشاعر مصطفى خريف من حسن الى احسن بفضل رعاية الاطباء الذين يباشرونه بالمستشفى العسكرى فى العمران .

ويلاقى الشاعر **مصطفى خريف** كل رعاية وعناية من فخامة الرئيس **الحبيب بورقيبة** وكبار المسؤولين فى الحكومة .

وقد استعاد نشاطه الفكرى المحمود فكتب مقدمة لديوان الشاعرة الملهمة زبيدة بشير وينوى هذه الايام كتابة مذكرات عن حياته تحمل اسم — **السنابل الخضر** — .

◆ مرآة الساحل :

مجلة دورية جامعة تصدرها اللجنة الثقافية المركزية بولاية سوسة كل ثلاثة اشهر تحت اشراف لجنة التنسيق الحزبى .

من موضوعات العدد الثانى — على الوردانى من نبغائنا المجهولين — الشخصية فى الأدب التونسى — نقد تاريخ ابن أبى الضياف — الملتقى القومى الأول للجان الثقافية المركزية .

والفكر تتمنى لمرآة الساحل دوام السير والمواصلة .

• **مشكلة النشر والتوزيع في البلاد العربية :**

مجلة "المكتبة" العراقيّة على بساطة شكلها ومظهرها المتقشف تتحفنا في كلّ مرّة تصدر فيها بأهم ما يظهر من كتب ومجلات في البلاد العربيّة وتمتعنا بالاخبار الثقافيّة المتنوّعة وتركز إهتمامها في الغالب على قضية من قضايا الادب في العالم العربي . وقد عالجت في عددها 52 (حزيران 1966 — جوان) قضيّة النشر والتوزيع في البلاد العربيّة عامة والعراق خاصة . ويظهر أن المشكل يتفرع إلى عنصرين اثنين ترجع إليهما الازمة الفكرية التي تتخبط فيها البلاد العربيّة وهو مشكل الكمّ ومشكل الكيف . ففي حين يسعى قطر من الاقطار إلى الحدّ من سيل الكتب الجارف وإخضاعه إلى مقاييس الجودة والمستوى الرفيع يشكو القطر الآخر الضحالة وقلة النشر . فإذا شكا الاستاذ مهدي القزاز رئيس تحرير مجلة المكتبة من خمود الحركة الفكرية بالعراق فإنّما يقصد انعدام الظروف المؤاتية لبروز التيارات الادبيّة الموجودة وتجسيمها بسياسة حكيمة في النشر والتوزيع فهو يقول :

"في الوقت الذي تنشط فيه دوائر الادب والثقافة وتحتدم المعارك الفكريّة بين المثقفين والادباء والكتاب في البلاد العربية حول قضايا أدبية متعددة ... يبقى العراق صامتا يقوم بدور المتفرج فقط لا تثيره الهزات الفكريّة التي يسمع عنها أو يقرؤها أو يشاهدها بنفسه كأنّه متفرج أعمى أصم ...

هذه اليقظة الادبية في العربية المتحدة [ما هو مداها بالنسبة للسنين الماضية] ولبنان وسورية وحتى في المغرب العربي [ما هو القصد المضبوط لحتى] ما مدى مشاركتنا فيها وإسهامنا في مضطربها ورأينا في تياراتها المتعددة الروافد والميول والاتجاهات . لا شيء اللّهم إلاّ تفاهات وقشور تنشرها بعض صحفنا في صفحاتنا الادبيّة وملاحقها ، هذه الصفحات والملاحق التي تعكس ضحالتنا الفكريّة وسوء تقييمنا للاجواء الادبيّة المشعة بالاضواء والجمال والحياة ...

إن رجال الفكر والادب في العراق مسؤولون عن هذه الحياة الادبية الراكدة الآسنة التي نعانيها ، وهم لطمعهم وجبنهم وربما لفراغ بعضهم ، قد سببوا هذه الوحشة الفكريَّة التي جعلتنا نسير في آخر الركب..."

ولعله لا يفوت الاستاذ الكريم أن كلّ هذا الذي يشكو منه إنَّما هو ناشيء عن قلة النشر وإلاّ فهل يمكن أن نسلِّم بخلو العراق من الادباء وأهل الفكر ودليلنا على ذلك ما أثبتته مجلة "المكتبة" نفسها في نفس العدد من سياسة العربيَّة المتَّحدة في باب نشر وتوزيع الكتاب والمجلَّة ، وما يشكوه المسؤولون من أزمة في هذا الشأن تتمثَّل في إسهال في النشر وفوضى في التسويق . ولعله من المفيد تلخيص ما أوردته مجلة "المكتبة" عن أزمة مصر في هذا الميدان وشعور المسؤولين فيها باخفاقهم رغم ما نعرفه من إشعاع رجال الفكر في مصر قبل عشرين سنة ، فقد ذكر وزير الثقافة في اجتماع له بثلاثين أديبا ومفكرا بروح مصر ودورها الحضاري في مختلف العصور . وكشف "عن استغلال عمليَّة التصدير كوسيلة لتهريب الاموال إلى خارج البلاد . وقرر إنشاء مكتب خاص تابع للوزارة لتنظيم عمليات تصدير واستيراد الكتب وطالب بأن تتبع كل شركات التصدير الوزارة" . وأكَّد أنه يجب أن تدر عمليَّة التصدير ربحا للدولة كأي سلعة جيدة وبين أن مصر تستورد ورقا من الخارج بالعملة الصعبة قيمته 7 ملايين و500 ألف جنيه سنويا في الوقت الذي تصدر فيه بما قيمته نصف مليون جنيه فقط ، كذلك لاحظ الوزير في حسرة هجرة بعض الاقلام إلى بيروت ووعد بالنظر في اسبابها ! ولعله من الانسب للوزير أن ينكب على درس الاسباب التي جعلت مصر مركز إشعاع في النصف الاوّل من هذا القرن أي قبل سنة 1960. إذ بذلك لا يبقى مجال للحسرة ولا يقول الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في هذا الاجتماع : "إذا كانت القاهرة هي رائدة النشاط الثقافي لا في المنطقة العربيَّة وحدها وإنَّما في افريقيا وآسيا أيضا... فإن من المحزن أن تصدر شركة زيوت أجنبية أكثر المجلات شيوعا في المنطقة ويجب أن ندرس المجلات الادبية الصادرة من بيروت والمنتشرة في العالم العربي" : ولعله بعد هذه الصورة المتشائمة التي

إتّفق عليها في مصر أهل الحل والعقد في هذا الميدان يحق للدكتور عبد العزيز الأهواني أن يقول :

"إنّنا لا نعبر عن مصر المصرية وإنّما نعبر عن مصر العربية قاعدة العروبة : فكرا وعملا وحضارة" ! ويحق للوزارة أن توقف مجلات كثيرة وتبقي على مجلة المجلة و"الفكر المعاصر" وتقرر بعد هذا إنشاء مراكز للكتاب العربي في الدول العربيّة تكون حلقة إتصال بين مراكز النشر في القاهرة وبين المكتبات ودور التوزيع في هذه الدول !

فهل من حاجة إلى أن نقول لهؤلاء المسؤولين في مصر اتّقوا الله في حقّ الكتاب وأهل الفكر ؟ أفلا يكونون هم المسؤولين عما ذكره الأستاذ يوسف إدريس في مجلة بناء الوطن"" المصرية قائلا :

"المناخ الادبي والفني في بلدنا عامر بالتفاهات والاعمال المساوقة والقيم المهدرة والزعيق والمدعين ، وفي مثل هذا الجو يموت الفن الحقيقي وتتكفل مئات الدبابير بقتل النحل النادر المنتج .

اما من شجاع واحد يقول كلمة الحق في هذه الضجة المحمومة أن درجة الحرارة مرتفعة لا من جودة الاعمال الفنية والادبية وإنّما من شدّة الزحام وعلو الضجة واختلاط الحابل بالنابل وانحدار القيم.

اني أتهم النقاد بالمساهمة في تخريب حركتنا الادبية والا فلماذا لا يحطمون هذه الخرافات ، لماذا لا يكشفون وجه الزيف والسطحية والمجاملة ؟ كذلك تقف لجان مجلس الفنون والآداب موقفا سلبيا وإلاّ فأين دورها الايجابي في دحر الانهيار الادبي ؟"

وتورد مجلة المكتبة ما نصّه :

"ويرد على هذا التحدّي من قبل يوسف ادريس الاستاذ فتحي سعيد فيؤيده ويفسّر صيحته هذه في وجه النقّاد لشعوره بالمرارة لفساد المناخ الادبي في العربيّة المتحدة ويتطلع إلى الاصالة والصدق بقدر ما تحمل كلماته من حرارة الصدق ثم يقول :

"ليست المشكلة في القحط النقدي والادبي الذي حل بأودية الفن فحسب بل هو كذلك في هجرة النقاد وكثير من الكتاب من ميادين النقد إلى مجالس الادارات ومقاعد التحكيم ودور الصحف واجهزة الاعلام.. ومن ثم أصبحت علاقتهم بالنقد وبالكتابة علاقة هامشية تخضع لروابط أبعد عن صميم الفن وأنأى عن جوهر النقد الذي هو عملية إبداع أخرى لا تقل عن ابداع صاحب العمل الادبي نفسه بما تقدمه من قراءة واعية ومعايشة محايدة للكاتب".

• **طه حسين ... والفتنة الكبرى والأيام :**

قال الدكتور طه حسين أخيرا : «إذا كنت لم أحاول قط أن أصور لنفسي فلسفة للحياة إلا أنني أعيش مستعينا بالله واثقا به، ممليا حين أجد الحاجة إلى الاملاء والقدرة عليه .

إن أمامي الآن شيئين أسأل الله المعونة على إتمامهما أحدهما إملاء الجزء الثالث من كتاب "الفتنة الكبرى" والثاني هو إملاء الجزء الثالث من كتاب "الايام"

• **الاعلام بحدود قواعد الاسلام :**

أصدرت وزارة الشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام للقاضي أبي الفضل عياض المتوفي سنة 544 هجرية ، وقد قام بتحقيقه محمد بن تاويت الطنجي .

• **حول تفريغ الأساتذة الباحثين :**

جاء في مجلة المكتبة العراقية أنه صدر قانون بالعراق يقضي بتفريغ أساتذة باحثين لمدة ثلاث سنوات من بين كبار الاساتذة الذين قدموا للفكر العربي أو التراث الاسلامي خدمات جلى . كما أن جامعة بغداد أصدرت تعليمات بشأن تشجيع البحوث العلمية في الجامعة وقد وضعت مكافأة قدرها300 دينار لكل بحث أصيل ومكافآت أخرى للبحوث القيمة . وبذلك فليعتبر أولو الالباب .

• **الحياة الأدبية المعاصرة في المغرب العربي :**

صدر بجريدة الجمهورية (17 شباط 1966) مقال للدكتور نقولا

زيادة يتحدث فيه عن الحياة الادبيـة المعاصرة في المغرب العربي وعن أبرز ملامحها يحاول الربط بين ما في المشرق والمغرب من اتجاهات وتأثيرات. ولعلّ الدكتور لم يجد المصادر الكافية لزيادة التحري والتعمق والدقة في الحركة الادبيّـة التونسيّـة فجاءت أحكامه بعيدة عن الصحّـة قال :

"الباحث في الحياة الادبيـة والفكريـة المعاصرة في المغرب العربي يستطيع أن يتحسس العناصر التي أثّرت في تكوينها عبر العقود الاخيرة. وأول هذه العناصر ما قام في البلاد نفسها من حركات دينيّـة اصلاحيّـة كالسنوسية في ليبيا والحركة السلفية في المغرب ، على تفاوت في الزمن بينهما ، وثانيها ما اتّصلت به تلك الاقطار من حضارة غربية مباشرة عن طريق الوجود الفرنسي والايطالي على تفاوت كبير في اثرهما ، وما تسرب إلى تلك الديار من اثار النهضة العربية الحديثة التي عرفها المشرق العربي . وقد خلفت هذه العناصر اثارا متباينة قوّة وضعفا وخلقت استجابات وردود فعل متنوعة ، فقد كان تأثر تونس والجزائر بالحضارة الغربية أكثر من تأثر ليبيا والمغرب. وبذلك غلب التقليد على قوالب التعبير في هذين القطرين إذا قوبل ببعض التجديد الذي عرف في البلدين الآخرين .

وهذا الادب الذي دفـع به أدباء المغرب العربي في القرن العشرين، وفي فترة الاخيرة بشكل خاص ، ما هي موضوعاته و ما هي خصائصه ؟

في هذا الادب عناية بالماضي ورغبة في احيائه.وليس هذا غريبا على بلاد كانت تخشى ان تطغى الاراء الغربيـة على حياته وتفكيرها وصور تعبيرها . فكان من الطبيعي أن يكمن تمسكها بالماضي والحفاظ عليه في عقلها الواعي واللاواعي،فيصبح املا وحلما وحقيقة. ترى هذا في الشعر الذي نظمه العربي الكبادي وأحمد المهدوي وسليمان الباروني وعـلال الفاسي ومحمد العيد ، كما تجده في كتابات الطيب الاشهب والشاذلي النيفر والابراهيمي البشير والكتاني وعبد الله كنون والفاضل ابن عاشور وغيرهم دابهم الغوص في أعماق الماضي بحثا عن خيره ، واحياء لقيمه ، واظهارا لاثـاره . يكتبون وينظمون ليبصروا الخلف بماثر السلف ، وليحيـوا التراث العربي الاسلامي ، وليثيروا حمية الناس في الدفـاع عنه ، والتمثل بما فيه من قوة وقيم .

والحياة الفكرية والادبية في المغرب العربي ، مثلها في المشرق ، مستقرة في الحواضر ، لم تنتشر بعد في الريف والبوادي . وقد لا يبدو في الامر غرابة أن تقتصر الحركة الادبية على مدينة أو اثنتين في قطر صغير ، ولكن عندما يحدث هذا في بلاد كالمغرب أو الجزائر ، يكون في الامر مدعاة للقلق ، أو على الاقل للاهتمـام .

والادب المعاصر في المغرب أدب ثورة وجهاد . لقد تفاعل الادب مع الجهاد في سبيل الاستقلال ، وهيأ للثورة وعبر عن اهدافها ومفاهيمها العامة . لكن الادب في تلك الاصقاع لم يصنع الثورة . إلاّ أن الادب الاحدث عهداً هو أدب فترة الاستقلال : فيه محاولة الادباء للتعرف إلى الذات المستقلة الحرّة . وهذا التعرف إلى الذات المستقلة أو المنتفضة والتعبير عنها أمعن في الصعوبة ، بحثاً واداء . وهذا ما يحاوله الكتاب اليوم .

والشعر ديوان العرب – هكذا كان النّاس ، وهكذا هم اليوم ، واحسب أنّهم سيظلون على هذا . والشعر في المغرب العربي يدور حول أمرين : أولهما في الثورة والرغبة في الحريّة والتغني بالاستقلال. واما الثاني فهو قضية عرفها المشرق من قبل ، وعرفتها اداب الامم الاخرى ، وهي قضية القديم والجديد أو المحافظة والتجديد . فالشاعر أو الاديب المحافظ يرى في الصورة الجديدة التي بعدت عن عمود الشعر خرقاً لحرمة التراث القديم المجيد . كما يرى الشاعر المحدث في القصيدة المحافظة على قوانين الشعر حتى ولو كانت القصيدة سائغة، ردة فكرية عاطفية لا يغتفرها التقدم الحديث والتطور المعاصر.

والشعر في المغرب والجزائر الصق بالصيغة القديمة وابعد عن أساليب التجديد العنيفة منه في تونس . ولعل المغرب والجزائر كانا أعلق بذلك بسبب حركات الاحياء التي قامت في القطر الاول ، والخشية على النفس التي أثرت في أهل القطر الثاني .

على أننا نتلمس هنا وهناك محاولات للتجديد . فهناك تجديد من حيث المحتوى أي المعنى ولعل أبو القاسم الشابي ومحمد العيد واحمد رفيق المهدوي في طليعة هؤلاء الذين غنوا على أوتار الماضي

انغاما جديدة وألحانا حديثة ، وظهر من محاولاتهم أن تلك الاوتار القديمة قادرة على تقبل الالحان الجديدة . أما من حيث تجديد المبنى، أي التلاعب بالاوزان وتبديل القوافي أوحتى التهرب من التفاعيل ، فعندنا محسن بن حميدة ومصطفى الحبيب بحري والشاذلي زوكار ومحمد العربي صمادح ومصطفى بن زكري . على أن التجربة الشعريّة ، عند هذا النفر ، لا تزال ، كما يقول محدّثو نعمة الشعر من المشارقة ، فجة ينقصها العمق والاتســاع . وقد يكون في بعض هذا الذي يقولونه صحة ، ولكن عندما نفتـش يمنـة ويسرة في شعر المحدثين ، في المشرق نستطيع أن ننكر عليهم ما انكروه على أندادهم هناك . ذلك بأن الشعر الحديث كله لا يعدو أن يكون تجربة من حق أصحابها أن يقوموا بها ، ولكن لا يجوز لهم أن «يخونوا» غيرهم لانّـه يجاريهم .

◆ بكى أدباء اللغة العربية منذ شهر المرحوم الاستاذ عز الدين التنوخي نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

وللمرحوم عز الدين التنوخي مجموعة مؤلفات قيمة فى اللغـة والعـروض والأدب منها :

1) شرح « الايضاح » للجلال القزوينى فى علوم البلاغة فى ثلاثة اجزاء .

2) احياء العروض .

3) تحقيق وشرح كتاب « الابـدال » لأبى الطيب اللغوى فى جزءين .

4) تحقيق وشرح كتاب « المثنـى » لأبى الطيب اللغوى .

5) تحقيق وشرح كتاب « الاتبـاع » لأبى الطيب اللغوى .

6) تحقيق وشرح « الابـدال » للامام الزجاجى .

7) تحقيق وشرح « مقدمة فى النحو » لخلف الاحمر .